الخارطة الذهنية للقرآن الكريم

سورة البقرة أنموذجًا

(الطريق الأسهل للتدبر والحفظ معًا)

تأليف الدكتور

إبراهيم بن عبدالله الدويش

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة القصيم - كلية العلوم والآداب

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ⓒ إبراهيم بن عبد الله الدويش ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدويش ، إبراهيم بن عبد الله

الخارطة الذهنية لسورة البقرة/ إبراهيم بن عبد الله الدويش

- القصيم ١٤٣١ هـ

ص ؛ سم

ردمك: ٤_٥٢٢٦_٠٠_٦٠٣_٩٧٨

١- القرآن - سورة البقرة - تفسير ٢- القرآن – تحفيظ أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣١/٤٤٠٢

رقم الإيداع: ١٤٣١/٤٤٠٢

ردمك: ٤_٥٢٢٦_٠٠_٦٠٣_٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

البيان **الصفحة**

مقدمة ٧

خطة البحث ١١

المطلب الأول: ماذا نعني بالوحدة الموضوعية للسور (سورة البقرة أنموذجًا)؟ ١٣

المطلب الثاني: الخارطة الذهنية ودورها في إبراز المحور الخاص للسورة ٢١

الخارطة الذهنية العامة لسورة البقرة ٢٥

التوضيح للخارطة من خلال المواضيع الخمس الرئيسة المتفرعة عن المحور الخاص لسورة البقرة (العبادة) ٢٦

الموضوع الأول: أصناف الناس في الحياة(من حيث العبادة والتوحيد) ٢٦

الموضوع الثاني : العبودية، أهميتها، وقصة بدايتها ٢٨

الموضوع الثالث : حقيقة العبودية وأمثلة عليها ٣٠

الموضوع الرابع: شمولية العبادة لجميع مناحي الحياة ٣٣

الموضوع الخامس: التعظيم أساس العبودية ٣٥

سورة البقرة في السنة النبوية لتأكيد معاني العبودية ٣٩

فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ٤١

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية لسورة البقرة وأثرها في تعميق وترسيخ الحفظ ٤٣

المطلب الرابع: منهج السلف في قراءة القرآن ٤٩

الخطوة الأولى : عدد الآيات التي يتلقونها في يوم واحد ٥١

الخطوة الثانية : يأخذون خمسًا في الصباح وخمسًا في المساء ٥٢

الخطوة الثالثة : أن الصحابة أخذوا من النبي ﷺ القرآن وتفسيره معًا ٥٦

فهرس المحتويات

البيان **الصفحة**

الخطوة الرابعة : كانوا يجتهدون في أثناء التلاوة بالعمل و تطبيق الآيات التي تُقرأ ٥٦
الخطوة الخامسة : ختمهم للقرآن بين فقهه ومجرد تلاوة لفظه ٥٨
المطلب الخامس : التدبر؛ معناه، وأهميته، وأنواعه، ومحله وأدواته، ودوره في فهم الآيه ... ٦١
أولاً : ما المقصود بالتدبر ٦٢
ثانياً : أهمية التدبر وأثره ٦٣
ثالثًا: لنحذر من مجرد حذّ القرآن ونثره ٦٥
رابعًا: أنواع التدبر..... ٦٦
أ- تدبر العامة..... ٦٧
ب- تدبر طلاب العلم ٦٨
ج- تدبر الخواص والراسخين..... ٦٩
خامسًا : محل التدبر ٧٠
سادسًا : أدوات معينة على التدبر..... ٧١
مما يعين على التدبر..... ٧١
سابعًا : التدبر أس طلب العلم ومفتاحه ٧٣
الخاتمة ٧٧
التوصيات ٧٩
فهرس المصادر والمراجع ٨١
السيرة الذاتية للمؤلف ٨٥

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه النور المبين، على قلب رسوله الأمين ؛ ليبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون، وصلَّى الله وسلم على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فمن الأمور المتفق عليها لدى كل مسلم ومسلمة أنه لا سيادة لنا في الدنيا، ولا فوز لنا في العقبى إلا بالتمسك بكتاب الله، علمًا وفهمًا، وتأملاً وتدبرًا، وعملاً وتطبيقًا، فالقرآن هو عصمتنا، وبه نجاتنا وسعادتنا، وقيام ديننا ودنيانا، كما قال ربنا - جلّ وعلا -: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠]، أي: أنزلنا إليكم كتابًا جليلاً، وقرآنًا مبينًا، فيه شرفكم وصيتكم، وفخركم وارتفاعكم في الدنيا والآخرة إن تمسكتم بحبله[(١)].

وقال ﷺ: ((إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي))[(٢)].

وإن الله سوف يسألنا عن هذه النعمة الجليلة، والمنة العظيمة، هل انتفعنا وارتفعنا بها، أم هجرناها إلا من قراءة واستماع عابر، ومنا من جعلها وراءه ظهريًا ؟! قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، أي: وسوف تُسْأَلُونَ عن هذا القرآن، وكيف كنتم في العمل به، والاستجابة له.

ولقد أحسن سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- التعامل مع القرآن في أيامهم وعصرهم الذهبي، فكان سببًا لمجدهم وعزهم وقوتهم...إلا أن الانحراف

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٣/٢٧٣،١٦/١١)، وتيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي (ص:٥١٩).

(٢) رواه البزار في مسنده (٣٨٥/١٥). والحاكم (١٧٢/١) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح: ٢٩٣٧). ورواه مالك بلاغاً في الموطأ (٨٩٩/٢) في القدر، باب النهي عن القول بالقدر (ح: ٣). وهو معضل. قال ابن عبدالبر في التمهيد (٣٣١/٢٤): «وهذا أيضًا محفوظ معروف عن النبي ﷺ عن أهل العلم شهرة يكاد يُستغنى بها عن الإسناد».

بدأ يتسرب شيئًا فشيئًا في منهج التعامل مع القرآن بعد القرون المفضلة، وبلغ الانحراف مبلغه في بعض عصور الانحطاط والجمود حتى قال قائلهم: لا يجوز تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به إلا للمجتهدين الاجتهاد المطلق؟؟!! (١).

ومع أن عصرنا -بفضل الله ومنِّه- عصر العودة إلى الكتاب والسنة، إلا أننا ما زلنا نعاني من بعض ترسبات تلك الحقبة، فعصرنا عصر الحفظ، والدورات المكثفة...، وحفاظ القرآن بمئات الآلاف، وجمعيات التحفيظ ودُوره وحلقات القرآن أكثر عددًا وانتشارًا من أي وقت مضى، وهذا كله خير وبركة وبشارة، إلا أن الكثير من الحفاظ والدارسين للقرآن يشكون تفلّت القرآن ونسيانه رغم مجاهدة النفس على المراجعة والتكرار مما أصاب البعض منهم الهمُّ والقلقُ ومن ثم الفتور والكسل ! وربما تراجع إيمان بعضهم وانتكس !

فضلاً عن الكثير من عامة الناس، بل ومثقفيهم ممن يقرءون القرآن وينثرونه نثر الدّقَل(٢) دون فهم أو تدبر ، فكيف بالعمل والتطبيق ؟!

وأنا أحد هؤلاء الناس؛ فكم من المرات أصحو وألوم نفسي لبعدها عن القرآن والوقوف مع آياته وأثره في حياتي، فأنتفض وأرجع لشيء من الوقت ثم سرعان ما أغرق كغيري في بحور الدنيا وشواغلها، وكان يعينني على هذه الانتفاضات خمسة من أولادي -ذكورًا وإناثًا- ممن أنعم الله عليهم بحفظ القرآن، وأيضًا هم كغيرهم في قصة المعاناة مع المراجعة والنسيان، وفي أثناء التحاقي بدورة تدريبية عن علم الخرائط الذهنية وآثارها في حياة الإنسان تولد لدي فكرة:

---

(١) انظر حكاية هذا القول والرد عليه في: أضواء البيان للشنقيطي (٢٥٨/٧) في تفسير سورة محمد ﷺ، رقم الآية : (٢٤).

(٢) الدّقَل: رَديء التّمر ويابِسُه، وما ليْس له اسْم خاصّ، فَتراه ليُبْسه ورَدَاءته لا يجْتَمع ويكون مَنْثُورًا. انظر: النهاية (١٢٧/٢). وسيأتي الأثر الذي وردت فيه هذه الكلمة في: (ص: ٥٧، ٦٥).

لماذا لا نستفيد منها في تدبر القرآن وحفظه؟ فكانت البدايات للمشروع، وبالتعاون مع الأبناء والبنات وبعد حوارات ومناقشات وجلسات كانت البداية مع سورة البقرة، وفي زمن مبارك روحاني في رمضان عام (١٤٣٠هـ)، وكانت النتائج مذهلة ومفاجئة حتى قالت ابنتي غالية: «قرأت سورة البقرة سنين، وتعبت في حفظها، ولكن لم أتوقع أبدًا أن أتصور المعنى العام والمحاور لها بهذا الترابط العميق إلا بعد أن عشت فعلاً مع الوحدة الموضوعية للسورة عبر الخارطة الذهنية!».

صدقت، فوضوح السورة ومعانيها ظهرت لي شخصيًّا جلية واضحة كما لم تظهر من قبل، وذلك فضل الله، فله الحمد وله الشكر، ولهذا حرصت على إتمام هذا المشروع ونشره ليعم نفعه، ورجاء الأجر والثواب في خدمة القرآن الكريم، مع يقيني أنه يحتاج لمراجعات ونظرات ومشاورات، فألح علي من تم استشارتهم وقراءتهم للفكرة ألا يتأخر نشرها حرصًا على النفع العام، وأن أي تعديل وإضافات وآراء تلحق عبر طبعات لاحقة، خاصة وأن القرآن في حفظه وتدبره والنظر فيه لن يقف عند حدٍّ أو أشخاص.

ولا يحتاج الأمر للبحث والنظر، فكل عارف وعالم يدرك أن منهج السلف في قراءة القرآن، وحفظه وفهمه والعمل به، هو الدواء الناجع والسبيل الأمثل للرجوع إلى القرآن، وسهولة التعامل معه، ومن هنا كان هذا البحث المختصر حتى نقف سويًّا على أفضل وأسهل طريقة لتدبر القرآن وحفظه معًا، مستفيدًا من دور ما يُسمّى بالوحدة الموضوعية للسور في ترسيخ الحفظ وتثبيته، ومستخدمًا الخارطة الذهنية كأداة وعامل مساعد في تحديد وكشف الوحدة الموضوعية وربط آيات السورة بها.. ومقتصرًا في هذا البحث على سورة البقرة كأنموذج، على أمل أن يتبعها غيرها بمشيئة الله -تعالى- مستقبلاً.

وكنت قد بدأت النظر في سورة الفاتحة، والبحث عن أسرار فرض تكرار قراءتها سبع عشرة مرة في اليوم والليلة في الصلوات المفروضة، في بحث

مختصر سميته: (الأسرار في التكرار لأعظم سورة في القرآن كما في الأحاديث والآثار)[1].

وكل ذلك في ضوء منهج السلف الصالح وخير القرون في تعاملهم مع القرآن، وطريقة حفظهم وتدبرهم له، فنقارن وضعنا بوضعهم، ونحاول أن نكشف الأخطاء ونعالجها، ونسد الثغرات ونقلّلها قدر الإمكان، حتى نصحح المسار، وننتقد مواطن الخلل ونتجنبها، ونشيد بالإيجابيات وندعمها.

وهذا من أهم الأصول الرئيسة التي يقوم عليها التجديد والعودة لعزنا وماضينا المجيد بثوب وروح العصر الجديد، فالأصول أولاً ؛ ولهذا سأحمل على عاتقي مع غيري حملة إرجاع أنفسنا والناس إلى القرآن قراءةً وتدبرًا، وتطبيقًا على المنهج الصحيح الذي أرشدنا إليه قدوتنا وحبيبنا ﷺ، والذي هو فعلاً مفتاح العز والتقدم والتحضر الحقيقي.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) بحث محكم، نشرته حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق بجامعة الأزهر. جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م – ٢٠٠٩م . العدد (٢١). هو أحد بحوث الترقية لدرجة أستاذ مشارك، وسيطبع قريبًا بإذن الله، يمكن التواصل عبر موقعنا : (http://www.islamsky.org/).

خطة البحث

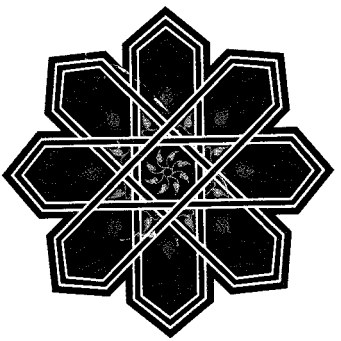

خطة البحث

ويتكون البحث من مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة.

فالمقدمة بينت فيها أهمية البحث، والسبب الباعث على كتابته، وخطة البحث.

والمطلب الأول: ماذا نعني بالوحدة الموضوعية للسور (سورة البقرة أنموذجًا)؟.

والمطلب الثاني: الخارطة الذهنية ودورها في إبراز المحور الخاص للسورة.

والمطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسور وأثرها في تعميق وترسيخ الحفظ.

والمطلب الرابع: منهج السلف في قراءة القرآن .

والمطلب الخامس: التدبر؛ معناه، ومحله، وأهميته في فهم الآية.

والخاتمة: وفيها: أهم نتائج البحث وتوصياته.

المطلب الأول

ماذا نعني بالوحدة الموضوعية للسور؟

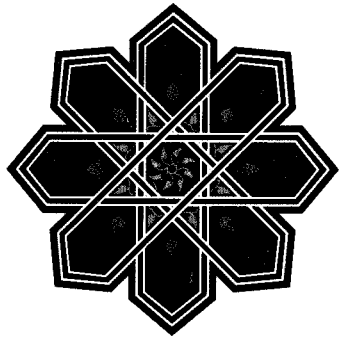

المطلب الأول

ماذا نعني بالوحدة الموضوعية للسور؟

(سورة البقرة أنموذجًا)

نعني بالوحدة الموضوعية للسور: ما تتضمّنه كل سورة من محور مركزي خاص أو أكثر تدور في فلكه السورة بأكملها، وتهدف إلى توضيحه وبيانه، وتسعى إلى تحقيقه؛ من خلال ما تضمنته السورة من موضوعات، وإن بدا أن بينها شيئًا من التباين في بادئ الأمر(١).

يقول سيد قطب –رحمه الله– في هذا الصدد: «..ومن ثَمّ يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصيةً مميزةً! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جوّ خاص يظلّلُ موضوعاتها كلها؛ ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو، ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغيَّر في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة.. هذا طابع عام في سور القرآن جميعًا. ولا يشذُّ عن هذه القاعدة طوال السور»(٢).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٤ / ٢٦٦ – ٢٦٨). والنبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز (ص: ١٥٩). ودراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر الألمعي (ص: ١١١ – ١١٤). وجهد الشاطبي في التفسير الموضوعي الكشفي للدكتور أحمد رحماني (٥٣ – ٥٧). ومحاضرات في التفسير الموضوعي للدكتور عباس عوض الله (ص: ٣٨– ٣٩).

(٢) في ظلال القرآن (١/٢٧ – ٢٨).

ولا يظهر المحور الخاص الذي تدور في فلكه السورة بكاملها بيسر وسهولة، وإنما بعد طول جهد وممارسة ومعايشة مع السورة، ونظر وتدبر، وإعمال العقل والفكر في تدبر آياتها، ودراسة السورة بعمق في إطارها العام، والكشف عن خط سيرها من مبدئها إلى منتهاها، وربط أجزائها وآياتها بعضها ببعض حتى يتبين المحور الخاص للسورة. يقول عبد الحميد الفراهي: «اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ[1] لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامُها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها» [2].

وهنا تنبيه مهم، وهو :

أن هذا المحور قد لا يكون موضوع اتفاق بين الدارسين والباحثين؛ لأن الأمر في الأساس مبني على النظر والاجتهاد، وأمر كهذا من الصعوبة بمكان أن تتفق عليه الآراء، فمثلاً هنا تعددت وجهات نظر الدارسين للمحور الخاص لسورة البقرة، فقد ذهب الدكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله- إلى أن لها مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة، ثم سردها[3]، في حين خالفه الآخرون ورأوا غير رأيه كسيد قطب وابن عاشور وسعيد حوى وغيرهم رحمهم الله جميعًا[4] . كما أن لهذا البحث رأيًا ارتآه الباحث بعد طول تدبر وتأمل ونظر ودراسة، فالمهم أن يعرف القارئ أن الباحثين والعلماء مختلفون في تحديد الوحدة الموضوعية للسور، ولهم آراء مختلفة حسب ما أدى إليه اجتهادهم، ولا ضير في هذا

(١) جمعه: الأقاليد، وهى المفاتيح، لغة يمانية. انظر غريب الحديث لابن الجوزي (٣٢/١) ولسان العرب (٣٦٦/٣).

(٢) دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي (ص: ٧٧).

(٣) انظر : النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (ص: ١٥٩- ١٦٠).

(٤) راجع للوقوف على آراء بعض هؤلاء: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(٥٥/١) وما بعدها. وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير سعيد حوى، ودراسات في التفسير الموضوعي للألمعي (ص: ١١٤- ١١٨). وغيرها من التفاسير والدراسات التي تناولت هذا الموضوع .

إن شاء الله؛ لأنه ليس هناك نص في الموضوع يتحتم المصير إليه، ولا يجوز تجاوزه، فالأمر مما يقبل فيه الاجتهاد وتعدد الآراء، لكونه مبنيًّا على الفهم والاجتهاد أكثر منه على النص، ولا شك أن هذا يثري الموضوع، ولعل بكثرة الطرح والتداول تنضج الآراء وتتمخض في المستقبل عن رأي يتفق عليه جلُّ العلماء -بإذن الله-.

علمًا أن المقصد في بعض السور يكاد يكون واضحًا جدًّا لمن تدبر في موضوعاتها وتفسير مجمل آياتها، فسورة المائدة هي في تأكيد العهود والمواثيق، وسورة الأنعام في تقرير توحيد الألوهية، وسورة يوسف في تفريج الكربات، وسورة الكهف في الفتن، وكيف النجاة منها، وسورة النور في ذكر أحكام العفاف والستر[1].

مع التذكير بأن البعض من العلماء -وإن كانوا قلة- ينكرون القول بالوحدة الموضوعية للسور والقرآن كليًّا[2]؛ لأنهم لا يرون علم المناسبات أصلاً، والوحدة الموضوعية في أساسها مبنية على علم المناسبات، وحجة من نفى علم المناسبات هي: أن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، وفي أحكام ومناسبات متعددة، وظروف وقضايا وأماكن مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، وزعموا أن كلامًا كهذا يصعب أن يكون بينه ترابط وتناسب[3].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢ / ١٥٨).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل (ص: ١١٤ وما بعدها) للدكتور زيد العيص، حيث ذكر بعضًا من هؤلاء العلماء وناقش أقوالهم، ورد عليهم.

(٣) ممن استبعد وجود المناسبات في القرآن كله: عز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، والشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) انظر: البرهان للزركشي (٣٥/١ وما بعدها). ونظم الدرر للبقاعي (٧/١). والإتقان للسيوطي (٣٧٠/٣). وفتح القدير للشوكاني (٧٢/١ - ٧٣). ودراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للألمعي (ص: ٩٣ - ٩٦).

إن موقف العلماء من علم المناسبات -باختصار- طرفان ووسط[1]، فمنهم من بالغ في إيجاد الترابط والتناسب بين الآيات والسور كلها إلى درجة التكلف الممقوت الذي يتنزه عنه الوحي المنزَّل، ومنهم من نفى هذا العلم كليًّا بحجة الهروب من هذا المحظور، وحرموا أنفسهم من الخير والعلم الذي يُظهر وجهًا مهمًّا من وجوه إعجاز القرآن الكريم وروعة تماسكه وبيانه، وكالعادة فالصواب في الوسط، و كلا طرفي قصد الأمور ذميم، والصواب في هذه المسألة -والعلم عند الله- مع من يقول بعلم المناسبات بشرط الوضوح والظهور وعدم التكلف، ولا يدفعنا غلو البعض إلى نفي هذا العلم الجليل كليًّا، بل نسلك فيه المنهج الوسط، السليم القويم، فإذا وجدنا التناسب ظاهرًا قلنا به، وإلا كففنا عنه، مع اعتقادنا الجازم أن القرآن معجز في كل الجوانب، وأن الله -تعالى- قد يفتح

(١) أول من أظهر علم المناسبة -على ما قاله بعض العلماء- : العلامة أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري، المتوفى سنة (٣٢٤هـ). قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى: «أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ بِبَغْدَادَ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ وَلَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ هُوَ: الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ فِي الشَّرِيعَةِ والأدب، وَكَانَ يَقُولُ عَلَى الْكُرْسِيِّ إِذَا قرئ عليه الآية: لِمَ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ؟ وَكَانَ يُزْرِي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْمُنَاسَبَةِ». انظر: البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٦).

ومن المكثرين في إيراد المناسبات بين الآيات فخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ)، وهو القائل في تفسيره الكبير (١٠/١١٠): « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».

وأما أول من أفرده بالتصنيف فهو العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الأندلسي، المتوفى سنة (٧٠٨هـ) في كتابه: (البرهان في ترتيب سور القرآن)، ثم جاء العلامة برهان الدين البقاعي، المتوفى سنة (٨٨٥هـ)، فأفرد لَهُ كتابين كَامِلين، أعظمهما: (نظم الدُّرَر في تناسب الْآيَات والسور) ، وَالثَّاني: (مصاعد النَّظر للإشراف على مَقَاصد السّور)، وهما أهم مَا كتب في هَذَا الْبَاب، وهما عُمْدَة كل من كتب فِيهِ حَتَّى يَوْم النَّاس هَذَا. ثم جاء جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، فألف كتابه: (تناسق الدرر في تناسب السور). ومن المعاصرين ممن ألف في هذا الباب: عبد الله محمد الصديق الغماري، كتب كتابًا سماه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن). وعادل بن محمد أبو العلاء كتابًا بعنوان (مصابيح الدُّرَر في تناسب آيَات الْقُرْآن الْكَرِيم والسور) .

انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣ / ٣٦٩- ٣٧١). ودراسات في التفسير الموضوعي للألمعي (ص: ٧٧ - ١٠٣).

على شخص فيه نظير إخلاصه واجتهاده وتدبره ما كان خافيًا على الآخرين، ولا نستغرب أن يظهر للبعض «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني»[1].

وللدكتور محمد عبد الله دراز كلام جميل ماتع، فيه رد على من يرد علم المناسبات بحجة أن القرآن نزل منَجّمًا، وفي ظروف وقضايا وأماكن مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، يقول -رحمه الله- : «... عظمة الثروة المعنوية في أسلوب القرآن على وجازة لفظه يُضاف إليه أمر آخر، هو زينة تلك الثروة وجمالها، ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بِحُجَزِ بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها...

اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن! فهي جمهرته، وتنقّل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطئت أولاها لأخرها ؟! وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى ؟

ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سورة القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجومًا...!!»[2].

وهذا ما ظهر لي، فقد كان لي شرف تدبر سورة البقرة استغرقت فيه نحو

---

(١) مقتبس من كلام ابن العربي انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧). ونظم الدرر (٧/١). والإتقان في علوم القرآن (١٠٨/٢).

(٢) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز (ص : ١٤٢ - ١٥٦).

سنتين، وكانت النتائج مفاجئة لي، ولم أكن أتوقعها، فمع أن هذه السورة هي أطول سورة في القرآن إلا أنه ظهر لي أن للسورة مقصدًا ومحورًا خاصًّا تدور حوله الآيات كلها بصورة عجيبة، وتخدمه وتجليه بشكل أعجب، والمقاصد الأخرى التي تحتويها السورة كلها تصب في خانة هذا المحور، وتجلِّيه وتبيِّنه، وتتفرَّع عنه، وهذا المحور الخاصّ لسورة البقرة هو موضوع (العبادة)، ويتفرع عنها مقاصد خمس أخرى لبلورة هذا المحور وتفسيره، وكشف حقيقته وشموليته. وخلاصة هذا التدبر لسورة البقرة مع ربط آياتها ومقاصدها بالمحور الخاص تجدها في خارطة ذهنية جميلة عملناها ستأتي في ص: (٢٥).

وإذا علمنا أن العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس كما قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، أدركنا استحقاق هذه الغاية لمثل هذه السورة طولاً وبيانًا وترتيبًا، فهي السورة التالية لسورة الفاتحة مما يؤكد مناسبتها لمثل هذا الموضوع المهم جدًّا في حياة الناس.

المطلب الثاني

الخارطة الذهنية ودورها في إبراز المحور الخاص للسورة

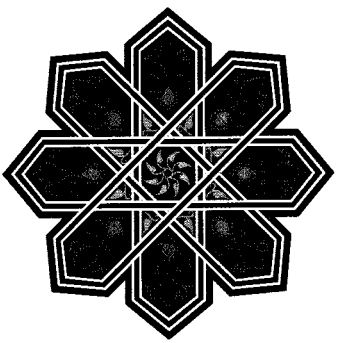

المطلب الثاني

الخارطة الذهنية ودورها في إبراز المحور الخاص للسورة

من باب أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وأن على الإنسان أن ينظر إلى (ما) قال، وليس إلى (من) قال، استخدمت -في تحقيق ما أصبو إليه كأداة جديدة وعامل مساعد للتفكير والتدبر- ما يُسمى بالخارطة الذهنية التي ابتكرها (توني بوزان) [1] في نهاية الستينيات.

فاستفدت مما قدمه في مجال الخارطة الذهنية، وبدأت بجمع وحصر وتحديد موضوعات السورة، وربط هذه الموضوعات الكثيرة المتفرعة بمحورها الخاص .

والخارطة الذهنية باختصار هي: عبارة عن تقنية تخطيطية قوية لتوسيع إمكانات الدماغ، فهي تسخر جميع المهارات المرتبطة بالدماغ، بطريقة رائعة تساعد على التفكير والتعلّم. وتعتمد على رسم كل ما تريده في ورقة واحدة بشكل منظَّم ومركَّز ومختصر وسهل التذكر.

(١) توني بوزان: مولود في لندن (١٩٤٢م) ومشهور بأستاذ الذاكرة، ومن أفضل كتبه كتاب (كيف ترسم خريطة العقل)، قيل عنه: «أداة التفكير الخارقة التي ستغير وجه الحياة». الكتاب يقع في (١٣٢) صفحة، بالحجم الصغير، من ترجمة وإصدار مكتبة جرير، ط:١ (٢٠٠٥م)، الرياض. وهو: أول من وضع خرائط العقل التي تعد أداة التفكير متعددة الأساليب لتقوية الذاكرة، وهو كتاب ممتع يفتح آفاقًا متعددة، ويقدم طريقة جديدة في تدوين الملاحظات، والتحضير للّقاءات، وتنظيم الأفكار والذاكرة، وتخزين المعلومات، وسرعة تذكرها.

ومن أهم فوائد الخارطة الذهنية: أنها تعطيك صورة شاملة عن الموضوع الذي تريد دراسته، أو التحدث عنه، بحيث إنك ترى الموضوع بصورة أكثر شمولية. وتمكنك من وضع أكبر قدر ممكن من المعلومات والأفكار التي تدور في ذهنك في ورقة واحدة، بشكل مركّز ومختصر يغنيك عن رزم من الورق.

وبعد نظر وتأمل عميق وطويل حددت المحور الخاص لسورة البقرة وهو (العبادة)، فجعلتها مركز انطلاقي، وشرعت بمزيد من التدبر والنظر في جمع موضوعات السورة المتفرقة والكثيرة عن موضوع (العبادة) مستخدمًا الخارطة الذهنية. إن سورة البقرة هي أطول سورة في القرآن على الإطلاق، ونزلت في مدد شتى حيث بدأ نزولها مع بداية الهجرة النبوية إلى المدينة، واستمر إلى آخر أيام وفاة صاحب الرسالة ﷺ، حيث فيها آية قيل: هي آخر ما نزل من القرآن[1]، إذًا فمن الطبعي أن تشتمل هذه السورة على موضوعات كثيرة جدًّا، وخاصة إذا علمنا أنها نزلت في الفترة المدنية التي هي فترة بناء الدولة، ونزل فيها معظم الأحكام التشريعية: من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وأمور الزواج والطلاق والعدة...وغيرها من الأحكام الشرعية، فكل هذه المواضيع بينتها واشتملتها سورة البقرة حتى قيل: إن «فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر»[2].

ومن هنا جاءت تسميتها بأنها فسطاط القرآن، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها؛ لأن الفسطاط هو ما يحيط بالمكان، ويقال لكل مدينة جامعة : فسطاط[3].

(١) هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يومًا. انظر: تفسير ابن المنذر (ص: ٦٥)، والمحرر الوجيز (١/١٣٦)، وتفسير ابن كثير (١/٧٢١)، والدر المنثور (٢/١١٦).

(٢) نقل هذا ابن العربي المالكي عن بعض أشياخه في كتابه: أحكام القرآن (١/١٥). وانظر أيضًا: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٩٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/١٣٦)، والجامع لأحكام القرآن (١/١٩٧)، وفقه اللغة وسرُّ العربية للثعالبي (ص:٢٦).

وبذلت قصارى جهدي في كشف ما يربط بين هذه الموضوعات وبين المحور الخاص للسورة: (العبادة) واضعًا نُصب عيني الخارطة الذهنية ومستخدمًا إياها في ربط موضوعات وأجزاء السورة بالمحور الخاص، وبفضل من الله وتوفيق عجيب تمكنت من حصر الموضوعات، ومن ثم ربطها بمحور السورة الرئيس بصورة جميلة حتى اكتملت صورة الخارطة الذهنية للسورة، وتبين ترابط آياتها وموضوعاتها حتى غدت السورة كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني، وجزأت الخارطة الذهنية لتبسيط الفكرة، وأخذت كل غصن منها ثم أشرت إلى الآيات التي تتكلم عن هذا الموضوع المشار إليه في هذا الغصن، وإليك الآن باختصار شديد الخارطة الذهنية بدءًا بموضوعها الرئيس (العبادة) مجزأة إلى خمسة مواضيع، وكل موضوع مجزأ إلى فروع حسب الآيات، والتي أشرت إلى أرقامها أمام كل فرع ليسهل على القارئ مراجعتها على المصحف وهو ينظر لهذه الخارطة العامة للسورة، ثم أضع كل موضوع من المواضيع الخمس في صفحة واحدة أو أكثر لتتضح لك بشكل أكبر .

الخارطة الذهنية العامة لسورة البقرة

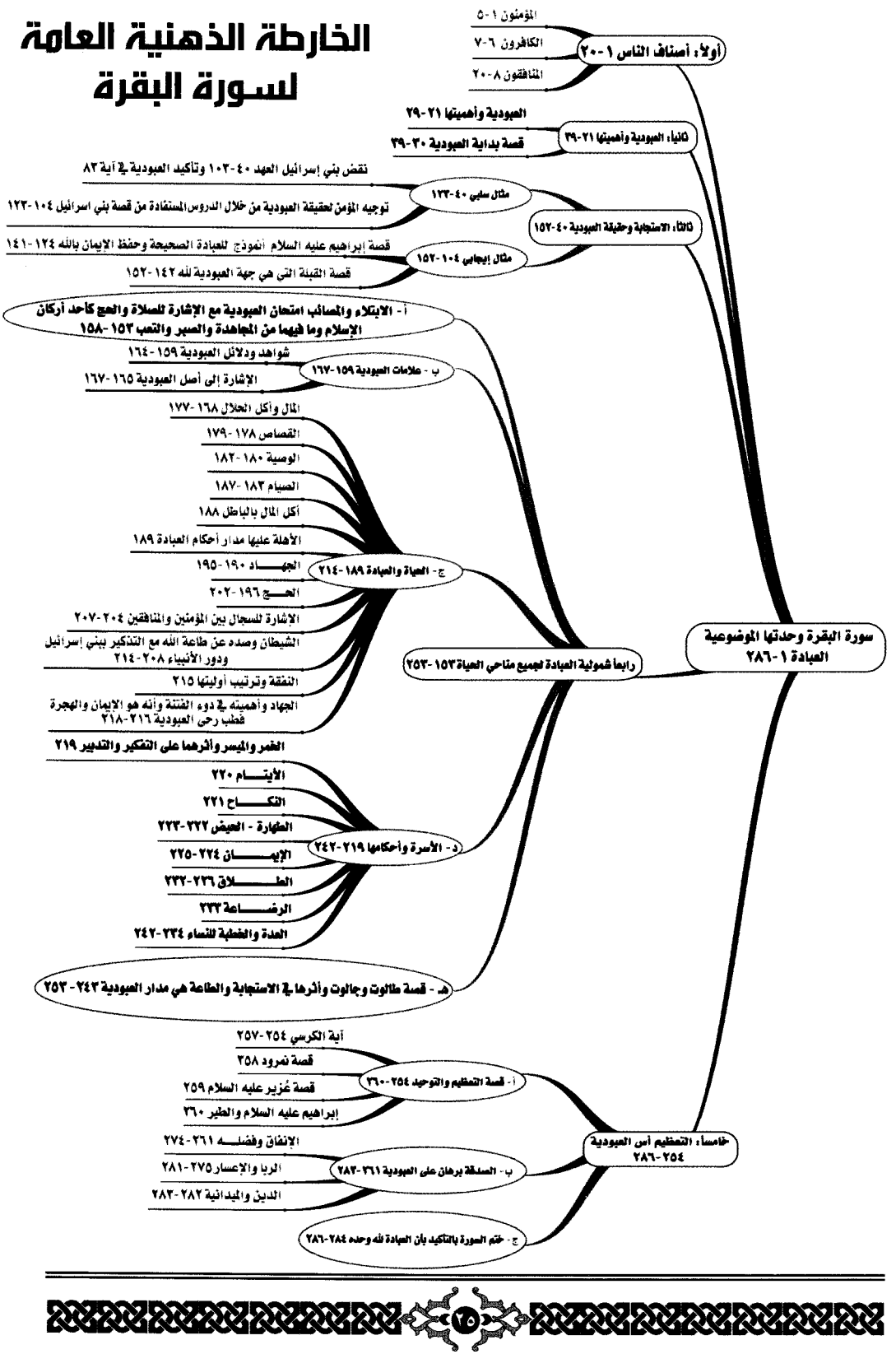

التوضيح للخارطة من خلال المواضيع الخمس الرئيسة المتفرّعة عن المحور الخاصِّ لسورة البقرة (العبادة)

الموضوع الأول: أصناف الناس في الحياة

(من حيث العبادة والتوحيد)

الآيات من : (١ – ٢٠)

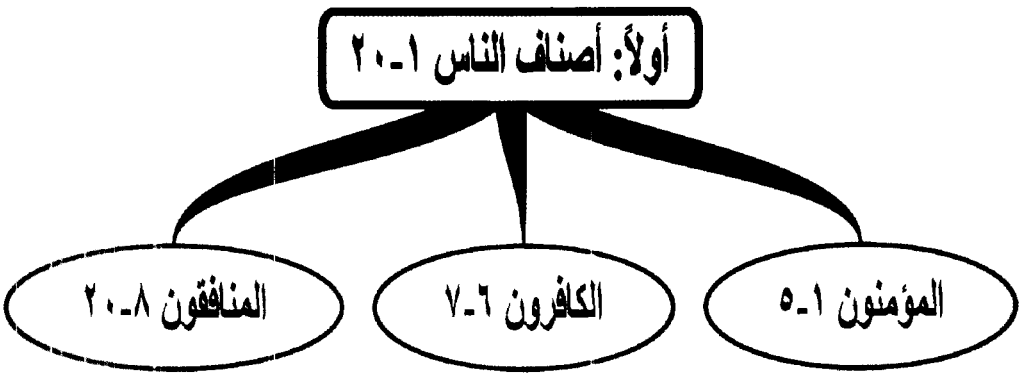

ومجموع الآيات فيه عشرون آية:(١ – ٢٠) على هذا التفصيل:

أ – خمس آيات تتحدث عن المؤمنين : (١– ٥).

ب – آيتان تتحدثان عن الكافرين : (٦ – ٧).

ج – ثلاث عشرة آية تتحدث عن المنافقين: (٨ – ٢٠).

وقفة :

من تدبر الآيات من (١ – ٢٠) ونظر للواقع وجد أن أصناف الناس في العبادة لا تخرج عن هذه الثلاث، ثم تأمل أن صفات المؤمنين افتتحت بصفة (الإيمان بالغيب) التي هي العلامة الفارقة بينهم وبين الكافرين والمنافقين في توجيه الفكر والتأثير على المعتقد للإنسان خاصة النفاق؛ ولذلك فصلت الآيات حالهم أكثر من الصنفين الآخرين لمسيس الحاجة للبيان والكشف عن أخطر صفة في المنافقين، وهي التلوّن والتقلّب وعدم الثبات على مبدأ أو فكر واضح.

الموضوع الثاني : العبودية؛ أهميتها، وقصة بدايتها

الآيات من : (٢١ – ٣٩)

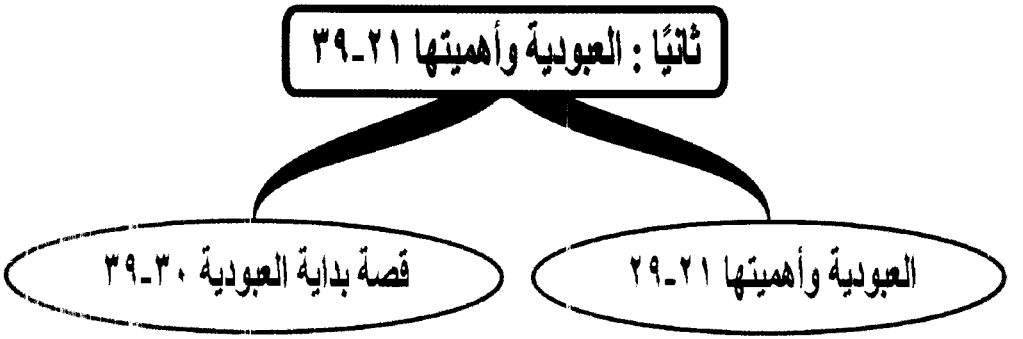

ومجموع الآيات فيه تسع عشرة آية: (٢١ – ٣٩) على هذا التفصيل:

أ – تسع آيات تتحدث عن العبودية وأهميتها، من: (٢١– ٢٩).

ب – عشرة آيات تتحدث عن قصة بداية العبودية، من: (٣٠ – ٣٩).

وقفة :

جاءت الآيات من (٢١ – ٣٩) لترسخ في الأذهان أهمية العبودية لله، وأنها الهدف الأول والأساس المتين في صناعة فكر الإنسان السليم، ولهذا أشارت لقصة البداية من خلق آدم –عليه السلام– أبي البشر وخلافته للأرض بالمنهج السليم، والذي نازعه عليه إبليس بقصة دراماتيكية عجيبة يشهد عليها الملائكة لتُعلن تلك المشاهد بداية خلافة هذا الإنسان للأرض وعمارته لها بمنطق ومعتقد سماوي عنوانه: التوحيد الخالص للخالق سبحانه؛ ليكون آدم بمشاركة حواء –عليها السلام– أنموذج هذا الإنسان بل ماهيته البشرية بما فيها من تقصير وغفلة وخطأ، وبما فيها من توزيع فطري للأدوار بين الذكر والأنثى، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

الموضوع الثالث: حقيقة العبودية وأمثلة عليها

الآيات من : (٤٠ – ١٥٢)

وفيه ثلاث عشرة ومائة آية، من: (٤٠ – ١٥٢) على هذا التفصيل:

أ – الآيات من: (٤٠ – ١٠٣) تتحدث عن مثال سلبي للعبودية؛ والمتمثل بنقض بني إسرائيل كأمة للعهد، ومماطلتهم واستهزائهم بالأنبياء، وقصة ذبح البقرة خير مثال على عدم الاستجابة والتلون والمراء. وقد جاء تأكيد العبودية لله في آية (٨٣).

ب – الآيات من:(١٠٤ – ١٢٣) فيها توجيه المؤمن لحقيقة العبودية من خلال الدروس المستفادة من قصة بني إسرائيل.

ج – الآيات من: (١٢٤ – ١٤١) تتحدث عن مثال إيجابي لفرد مؤمن هو كأمة بإيمانه واستجابته وطاعته لربه، تتمثل بقصة إبراهيم كأنموذج للطاعة والعبادة الصحيحة لله.

د – الآيات من: (١٤٢– ١٥٢) تتحدث عن مثال إيجابي آخر لجماعة مؤمنة صادقة في عبوديتها واستجابتها لله، الذي يظهر جليًّا في قصة تغيير القبلة من جهة بيت المقدس إلى مكة المكرمة، والكل يدرك صعوبة تغيير القناعات خاصة في مثل هذا الأمر (اتجاه التعبد)، فهي عقيدة ومبدأ، إلا أن حقيقة العبودية تعني الاستجابة والتسليم لأمر الله، وما قصة مسجد القبلتين بالمدينة[1] إلا دليل على ذلك، فتأمل جمال العبودية وروعتها .

وقفة :

العبودية كغيرها لها صورة، ولها حقيقة، وصورتها يعيشها الكثير من المسلمين اليوم، بينما حقيقتها تكمن بالاستجابة، وهنا تذكر الآيات من (٤٠ – ١٢٣) أمثلة حية ورائعة عليها، بدأته بمثل سلبي للاستجابة في حال أمة يهودية شُرفت بالقيادة والريادة في الأرض، وتحقيق الطاعة والاستجابة للأوامر الربانية، إلا أنها عصت وتنكرت وماطلت وكفرت وقتلت وظلمت وفعلت أعاجيب كما في سياق هذه الآيات، فأصبحت شر مثل للعصيان، ثم ختم المثال بتوجيهه لحقيقة العبودية من خلال الدروس المستفادة في هذا المثال السلبي ثم توالت الآيات (١٢٤ – ١٤١) لتربي المسلم بالقدوة الحية مباشرة في كيفية الاستجابة الصادقة لله، فذكرت مثلاً إيجابيًّا لفرد كأمة هو خليل الله إبراهيم -عليه السلام- خير مثال إيجابي في تحقيق معنى العبودية لله -سبحانه وتعالى- في طاعته العجيبة واستجابته المثالية ليكون قدوة لكل أحد . وأيضًا

(١) ورد في قصة تحويل القبلة عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ -أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ- مِنْ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ..)) رواه البخاري في تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس...﴾ (ح: ٤٤٨٦).

على المستوى الجماعة في الطاعة والاستجابة جاءت الآيات من (١٤٢ – ١٥٢) بقصة تحول القبلة والتي هي أصل المعتقد والفكر للإنسان، ومن الصعب جدًّا التحول عنها بسهولة، فكانت النتيجة طاعة واستجابة لا مثيل لها، فقد تم التحول والتوجه للقبلة الجديدة وهم في وسط صلاتهم دون أي تردد أو حيرة، وهكذا هي العبودية الصادقة لله، فما أروع هذه الأمثلة الثلاثة في تربية النفس المسلمة في تحقيق حقيقة العبودية للواحد الأحد عز وجل !!.

ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (ح: ٥٢٦، ٥٢٦). قال الحافظ في (فتح الباري، ٥٠٣/١) : «اختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها، وكذا في المسجد، فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر، وذكر محمد بن سعد في الطبقات قال: يقال إنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه ودار معه المسلمون. ويقال: زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعامًا وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي «مسجد القبلتين» قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا» اهـ .

الموضوع الرابع : شمولية العبادة لجميع مناحي الحياة

الآيات من : (١٥٣ – ٢٥٣)

وقفة :

من عجائب الموافقات في أثناء البحث والتدبر في الآيات لتحديد المحور للسورة وتفريعاته أن يكون هذا المحور الرابع في مائة آية بالتمام، ووجه العجب أن هذه الآيات (١٥٣ - ١٥٤) تتناول شمولية العبادة لجميع مناحي الحياة لتكون في مائة آية كاملة تبدأ بالتنبيه على أن الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأنك -أيها الإنسان- ستواجه الكثير من المصاعب والمصائب؛ ولذا فاعلم أن ما أصابك هو بحد ذاته عبودية، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]، فاجعل هذا شعارك في بداية الانطلاق في ميادين الحياة وبأنواعها، والعيش فيها بهذا المفهوم (شمولية العبادة لجميع مناحي الحياة)، والذي أكده السياق القرآني لهذه الآيات والتسلسل العجيب لها في تحقيق هذا المعنى الذي يغيب عن كثير من الناس ليخسر الكثير من الثواب والأجر الأخروي، كما يخسر الكثير من الأنس بالحياة وجمالها عندما يعيشها بهذا المعنى الإيماني الشامل والرائع، حقاً كما قال من لا ينطق عن الهَوَى: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) (١).

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (ح: ٢٩٩٩).

الموضوع الخامس : التعظيم أساس العبودية

الآيات من : (٢٥٤ – ٢٨٦)

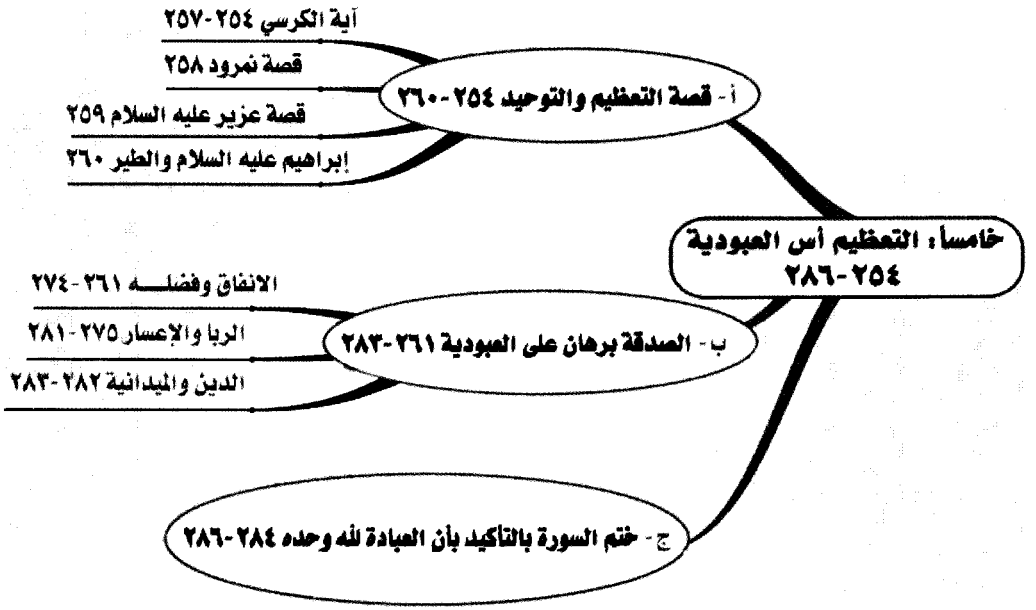

وقفة :

تأمل هذا المحور العجيب الذي ختمت فيه السورة، حيث ترابط الآيات وتماسكها بشكل مذهل في التعظيم لله سبحانه وتعالى، والذي هو أسّ العبودية التامة للخالق عز وجل، فثلاث وثلاثون آية من (٢٥٤ - ٢٨٦) بدأت بقصة التعظيم والتوحيد للواحد الأحد، سبع آيات افتتحت بالنداء والحث على النفقة، ((وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)) [١]. وخير دليل على حقيقة الإيمان والعبودية، ثم قطعت بالتذكير بعظمة الكبير بأعظم آية في القرآن: آية الكرسي، فـ« من كان بالله أعرف كان له أخوف »[٢]، ثم﴿لا إكراه في الدين﴾[البقرة: ٢٥٦]، لكن من استمسك بالعروة الوثقى التي هي كلمة التوحيد الغاية العظمى « لا إله إلا الله » فقد فاز، وأصبح من الأولياء المحاطين بالرعاية والحفظ الإلهي، فالسعادة الأبدية في لزوم عتبة العبودية، فالتاريخ والوقائع تؤكد هذه القضية، فالقصص عبرة، فمن قصة نمرود (٢٥٨) إلى قصة عزير -عليه السلام- (٢٥٩)، ثم قصة إبراهيم -عليه السلام- مع الطير (٢٦٠)، كلها مواقف تهز النفس البشرية من الأعماق بأن الله على كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم. ثم عاد مرة أخرى بأربع عشرة آية (٢٦١ - ٢٧٤) للنفقة، فبعد أن قطع بآية الكرسي عاد ليضرب الأمثال، ويؤكد على أن الصدقة برهان العبودية، وأنها بشقيها الفرض والنفل - أي: الزكاة الواجبة والصدقة المندوبة - هي العلاج الأمثل والأول لمشكلة الفقر، فالعبادة تشمل جميع مناحي الحياة، والمال عصبها. فجاءت الآيات من (٢٦١ - ٢٨٣)

---

(١) جزء من حديث أبي مالك الأشعري، رواه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء (ح: ٢٢٣).

(٢) الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ص: ١٤١) . قائل هذه الكلمة المختصرة المفيدة هو : أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٩) .

لتشير بشكل مدهش ورائع لمسألة (المال) كجانب اقتصادي رئيس في عمارة الأرض وحراكها الدائم الذي لا يهدأ من بيع ونفقة ومداينة كأصول شرعية مباحة، يقابلها على الوجه الآخر (الربا) الماحق لكل بركة، المدمر للمجتمعات من طبقية وفقر وانهيارات مالية متلاحقة، فبيع المال بالمال ما نزل بمجتمع إلا ودمره وأهلكه، فعبودية الله بالمال اختبار وأي اختبار!! فالصدقة والإقراض والإنظار للمعسر وآداب وشروط المداينة والشهادة ونحو ذلك صور لعبودية المؤمن الصادق المحب للآخرين كما يحب لنفسه فلا ضرر ولا ضرار، ثم تأتي لحظات الختام للسورة بثلاث آيات من (٢٨٤ – ٢٨٦) لتتجلى حقيقة العبودية بأن كل ما في السموات والأرض إنما هو لله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فالعبد المخلوق وما يملك من الله وإلى الله، بهذا جاءت الرسل، وبهذا كان التكليف، وعليه الحساب والجزاء، ورحمة الله وعفوه ومغفرته هي الحبل المتين للعبد الفقير، والله المستعان، وعليه التكلان .

سورة البقرة في السنة النبوية

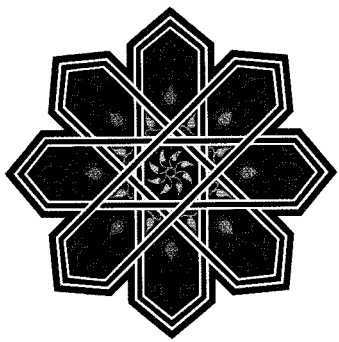

سورة البقرة في السنة النبوية
لتأكيد معاني العبودية

عند التأمل والتتبع للأحاديث الواردة في فضل سورة البقرة وآياتها تجد أن معاني العبودية وثمراتها بينة واضحة، فهي نور وشفيع وقائد، وطاردة للشياطين، وكافية للعبد، كما في الأحاديث التالية :

١ - عن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَة شَفِيعًا لأَصْحَابِه، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آل عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَة كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ[١]، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ[٢] تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[٣]. قَالَ مُعَاوِيَةُ[٤] : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ[٥] .

٢ - وعن النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ الْكِلابِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ))[٦].

٣ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))[٧].

---

(١) المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين، الغمامة والغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨٩،) وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/٣٥٠).

(٢) فِرْقان : قطيعان وجماعتان، الواحد فِرْق أي جماعة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٤٠) شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب قراءة القرآن وسورة البقرة (ح: ٨٠٤).

(٤) هو ابن سلام، أحد رجال السند في حديث أبي أمامة .

(٥) انظر : صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب قراءة القرآن وسورة البقرة (ص: ٣٢٥).

(٦) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ح: ٨٠٥).

(٧) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة (ح: ٧٨٠).

٤ – وعَنْ أُسَيْد بْن حُضَيْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنْ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ، ثُمّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمّا اجْتَرّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السّمَاءِ حَتّى مَا يَرَاهَا، فَلَمّا أَصْبَحَ حَدّثَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْر، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْر)) قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظّلّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتّى لَا أَرَاهَا، قَالَ:((وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟)) قَالَ: لَا . قَالَ: ((تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ)) (١).

٥ – وعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنّ النّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ أَخَذَ السّبْعَ الْأُوَلَ (٢) فَهُوَ حَبْرٌ)) (٣).

وورد –أيضًا – في فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة أحاديث، منها:

١ – عَنْ أَبِي مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النّبِيُّ ﷺ : ((مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) (٤).

٢ – وعَنْ ابْنِ عَبّاس قَالَ: ((بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النّبِيّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا(٥) مِنْ فَوْقِهِ؛ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطّ إِلّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطّ إِلّا الْيَوْمَ، فَسَلّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة (ح: ٥٠١٨). ومسلم في صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن (ح: ٧٩٦).

(٢) السبع الأول: السور السبع الطوال من أول القرآن وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، التوبة.

(٣) أخرجه أحمد (٦/٧٣). والحاكم (١/٥٦٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/١٦٢) وقال: «رجال البزار رجال الصحيح غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة» وقال الألباني في الصحيحة (٥/٣٨٥): «فالحديث حسن أو قريب منه».

(٤) أخرجه البخاري، في المغازي، باب (١٢) (ح: ٤٠٠٨). ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة (ح: ٨٠٧ ، ٨٠٨).

(٥) أي صوتًا كصوت الباب إذا فُتح. انظر النهاية (٥/١٠٧)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٦/٩١).

سُورَة الْبَقَرَة. وقال: لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْف منْهُمَا إلّا أُعْطيتَهُ)) [1]. أَيْ: أُعْطيت مُقْتَضَاهُ، وَالْمَرْجُوّ أَنّ هَذَا لَا يَخْتَصّ بِالنبي ﷺ بَلْ يَعُمّهُ وَأُمّته [2].

٣ - وعَنْ عَبْدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((لَمّا أُسْرِيَ برَسُول الله ﷺ انْتُهِيَ به إلَى سدْرَة الْمُنْتَهَى، وَهِيَ في السّمَاء السّادسَة، إلَيْهَا يَنْتَهي مَا يُعْرَجُ به منْ الْأَرْض فَيُقْبَضُ منْهَا، وَإلَيْهَا يَنْتَهي مَا يُهْبَطُ به منْ فَوْقهَا فَيُقْبَضُ منْهَا...، فَأُعْطيَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطيَ الصّلَوَات الْخَمْسَ، وَأُعْطيَ خَوَاتيمَ سُورَة الْبَقَرَة، وَغُفرَ لمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِالله منْ أُمّته شَيْئًا الْمُقْحمَاتُ)) [3].

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة (ح: ٨٠٦).

(٢) شرح النسائي للسندي (٢/١٣٩)، في شرح حديث (٩١٣).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى (ح: ١٧٣).

المُقْحمات: الذّنوب العظام التي تُقْحِم أصحابَها في النار: أي: تُلْقِيهم فيها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٩).

المطلب الثالث

الوحدة الموضوعية لسورة البقرة

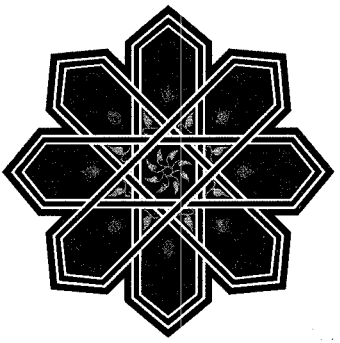

المطلب الثالث

الوحدة الموضوعية للسور وأثرها في تعميق وترسيخ الحفظ

لعلك -أخي القارئ- تُعيد النظر للخارطة الذهنية ووقفاتها الخاصة بسورة البقرة مرتين وثلاثًا أو أكثر، ثم بعد اطلاعك المتعمق عليها سيتبين لك أن للوحدة الموضوعية أثرًا كبيرًا في الفهم العام أولاً، ثم في ترسيخ الحفظ وتثبيته ثانيًا، فعامة المسلمين اليوم بل حتى جُلّ حفاظ القرآن في أيامنا هذه يعيشون في أزمة، حيث تجدهم يجتهدون في الحفظ ثم ينسون ما حفظوه في مدة قصيرة، ثم يعيدون الكرة في الحفظ ويبحثون عن دورات وحلقات المراجعة لترسيخ الحفظ، وهكذا دواليك فهم في دوامة لا يخرجون منها إلا من رحم الله، فلو تفطن هؤلاء وتركوا هذا الأسلوب التقليدي السائد في الحفظ، ورجعوا إلى طريقة السلف لاستفادوا خيري الدارين، وجمعوا بين الحسنيين، ألا وهي الجمع بين الحفظ والعلم والعمل في وقت واحد، كما قال الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- «فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جميعًا» (١).

ومن المعلوم والمتفق عليه أن قيد العلم وحفظه: هو العمل به وتطبيقه، وإن أردت مثالاً قريبًا من حياتك اليومية فتأمل أذكار الصباح والمساء، فلا تجد شخصًا يداوم عليها ثم هو يشتكي من نسيانها، وذلك لأن العلم -كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يهتفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ! (٢). وإن من علم وعمل بما علم يعيش في سعادة وروحانية لا يعلم بها إلا من ذاقها وعاش في ظلها! وهذا هو المقصود من قراءة القرآن، بل لا يكاد ينتفع أحد بالقرآن ويعالج

(١) انظر تخريج الأثر في (ص: ٥٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص: ٣٥ - ٣٦). وابن عساكر في ذمّ من لا يعمل بعلمه (ص: ٣٨). والسيوطي في جياد المسلسلات (ص: ٢٧١). وروى الخطيب في المصدر السابق مثله عن محمد بن المنكدر (ص: ٣٦). والحافظ ابن عبد البر مثله عن سفيان الثوري بسند صحيح في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٠٧ رقمه: ١٢٧٤).

أمراض قلبه ويدرك لذة تلاوته إلا بهذه الطريقة النبوية المختارة، فهي من أنفع الطرق لتدبر القرآن والتأثر به، كما أخبر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الحالة التي ينتفع فيها القلب بالقرآن، فروى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ: أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً ؟ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) أَوْ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ) ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا ؟!

قَالَ : إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ)) [1].

قال النووي: «معناه: أن قومًا ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب» [2].

قال ابن مجاهد: سمعت أبا جعفر الطبري يقول: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته!» [3] .

ويقول الزركشي: «من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئًا» [4] .

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذّ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ح: ٧٢٢). والبخاري نحوه مختصراً في الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة، والقراءة بالخواتم (ح : ٧٧٥).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٥/٦).

(٣) معجم الأدباء (٦٣/١٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٧١/٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: يدخل في مَعْنَى قَوْله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) (١)، تَعْليمُ حُرُوفه وَمَعَانيه جَميعًا؛ بَلْ تَعَلُّمُ مَعَانيه هُوَ الْمَقْصُودُ الأَوَّلُ بتَعْليم حُرُوفه، وَذلكَ هُوَ الَّذي يَزيدُ الإيمَانَ(٢).

وعَنْ جُنْدُب بْن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ وَنَحْنُ فتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ (٣)، فَتَعَلَّمْنَا الإيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِه إيمَانًا)) (٤).

فالقارئ الذي يردد الآيات دون فهم لمعانيها ولا تدبر لمقاصد سورها ليس كالقارئ الذي يقرأ وهو متصور للوحدة الموضوعية للسورة وفروعها، ويتنقل بين الآيات متصورًا معانيها، ورابطًا بينها وبين المحور الخاص، ويتنقل من مقصد إلى مقصد، ويربط بين هذه المقاصد ثم يربط جميعها بالمحور الخاص للسورة، وتتكون لديه خارطة ذهنية واضحة للآيات ولمعانيها ولأهداف السورة، وترتيب هذه الأهداف... فهل من يقرأ القرآن بهذه الصورة يستوي مع من يقرأها للترداد والتكرار فقط؟ اللهم لا! و ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]. ومن يقرأ سور القرآن بخشوع وتدبر وتأمل، ومنفعلاً ومتأثرًا بآياتها وأوامرها وزواجرها، ومتصورًا أهدافها ومقاصدها فهو يقرأ القرآن كأنما هو مفتوح أمام ناظريه، يشاهده وينظر إليه... وهنا لا يكاد ينسى ما حفظه؛

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ح: ٥٠٢٧).

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٤٠٣).

(٣) قوله (حَزَاوِرَةٌ) هو جَمْع حَزْوَرٍ وحَزَوَّرٍ وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٨٠) مادة: حزور .

(٤) رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب في الإيمان (ح: ٦١). وابن منده في كتاب الإيمان، باب ذكر صفة أصحاب رسول الله ﷺ ومنزلتهم من الإيمان واتباعهم القرآن (ح: ٢٠٨). والبيهقي في (الكبرى، ٣/١٢٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٤١). الحديث إسناده صحيح، ورجاله ثقات. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (ص:٥٠): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات». وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/١٦ح: ٥٢).

لأنه يعيش مع القرآن، ويتلذذ بقراءته، ويعمل به، ويعالج أدواء قلبه به، فعندما ينقش القارئُ بتدبره الوحدةَ الجامعةَ لأغراض السورة القرآنية وآياتها في ذهنه، وتكون واضحة لديه تمامًا، فعندئذ يكون ماسكًا بروح السورة التي لها خيوط ضاربة في آياتها كلها، مهما تعددت موضوعاتها، وتنوعت أغراضها، تجدها متلاقية مترابطة ملتئمة ملتحمة بفضل ذلك الروح القرآني الآسر بروعته، الناصع بقوته، الذي يسيطر على الأسلوب سيطرة تكون من المعاني مكان السلك من الدرر، يجمع نظامها ويضم لآلئها، فتبدو ساطعة فاتنة متناسقة على النحو الوضيء [1].

فمن بلغ هذه الدرجة لا يمكن أن يشبع قلبه من القرآن كما قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في المصحف.. »[2]. وهذا -يعلم الله- ما وجدته في أثناء عملي بهذه السورة، فكنت أقرأها كثيرًا وأرددها دائمًا، لكني لم أجد الأثر الذي وجدته الآن من وضوح وفهم عام لمحاور وأجزاء السورة، بل ربما وقفت مع بعض آياتها اليومين والثلاث، بل ربما الأربع، ولو لا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها لغيرها، فمن وقف مع الآية متأملاً متدبرًا محاولاً ربط معانيها بواقعه لا يكاد ينتهي، فيضطر لقطع ذلك لانغماسه في شواغل دنياه، وإلا فالقلب لا يشبع. جعلنا الله جميعًا من أهل القرآن، والذين وصفهم ابن القيم بقوله: « ..فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها. فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه،

---

(١) انظر مقالاً للدكتور محمد ابراهيم الشافعي بعنوان: (الوحدة الموضوعية في السور القرآنية) منشور في ملتقى البيان لتفسير القرآن.

(٢) رواه البيهقي في الاعتقاد (ص:١٠٥)، وفي الأسماء والصفات (٣٧٩/١)، وشعب الإيمان (٥٠٩/٣)، ونحوه عند أحمد في الزهد (ص: ١٨٨).

كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلوب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب»[1]. ولن يكون ذلك إلا باتباع منهج المصطفى ﷺ والسلف الصالح في كيفية قراءة القرآن كما سأوضحه في المطلب التالي.

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص: ٢٢١).

المطلب الرابع

منهج السلف في قراءة القرآن

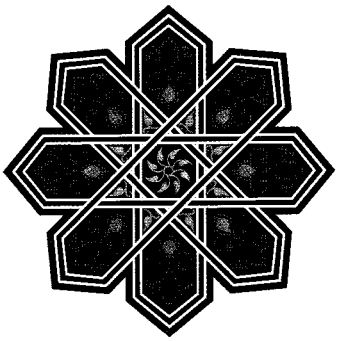

المطلب الرابع
منهج السلف في قراءة القرآن

إن فضل تلاوة كتاب الله -تعالى- عظيم، وأجرها جزيل، وهي من أجلّ الطاعات، وأعظم العبادات، وأشرف القربات، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِه حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ))(١).

وقد حذرنا النبي ﷺ من تفلّت القرآن، وأمرنا بتعاهده ومراجعته كما في حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا(٢) مِنْ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا))(٣).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ))(٤).

ومن خلال التتبع الأولي للنصوص والآثار يتبين حرص الصحابة -والسلف عمومًا- على قراءة القرآن وتلاوته عبر خطة مرسومة، فلم تكن قراءتهم مجرد تلاوة وترديد، بل وجدت أنهم كانوا يتبعون الخطوات التالية :

---

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر (ح: ٢٩١٠). وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح: ٢٣٢٧).

(٢) التفصي: هو الخروج، يُقال: تَفَصَّيْتُ من الأمر تَفَصِّيًا: إذا خرجْتَ منه وتَخَلَّصْت . انظر: النهاية (٤٥٢/٣).

(٣) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (ح: ٥٠٣٣). ومسلم في الصلاة، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز أنسيتها (ح: ٧٩١).

(٤) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (ح: ٥٠٣١). ومسلم في الصلاة، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا...(ح: ٧٨٩).

الخطوة الأولى : عدد الآيات التي يتلقونها في يوم واحد:

يتلقون عشر آيات من النبي ﷺ ولا يجاوزونها حتى يتعلموها ويتقنوا فهمها والعمل بها، وبهذه الطريقة تعلموا القرآن والعلم والعمل والإتقان جميعًا، كما روى ذلك أحد أشهر قراء الصحابة، وهو الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: «كانَ الرجلُ منّا إذا تعلّم عَشْرَ آياتٍ لم يجاوِزْهنّ حتى يعرفَ معانيَهُنّ، والعملَ بهنّ»(١).

وابن مسعود هو من هو في هذا المجال، وهو الذي أُمرنا أن نستقرئ القرآن منه، ففي الصحيحين عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ الله (أي: ابن مسعود) عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ))(٢).

وكما روى هذا المنهج النبوي تلميذ من تلاميذ الصحابة، ومقرئ مشهور جلس ردحًا من الزمن في تعلّم القرآن وتعليمه(٣)، وهو التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي(٤) قال: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره (٢٧/١) بسند صحيح موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه البيهقي في الشعب (٥١٠/٤، ح: ١٨٠١). وذكره ابن كثير في تفسيره (٨/١). وقال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٨٠/١): «هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير».

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة (ح: ٣٧٥٨). ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (ح: ٢٤٦٤).

(٣) ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا».

(٤) هو: عبد الله بن حبيب بن رُبَيّعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ، ثقة ثبت. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (١٧٢/٦)، والتقريب (ص: ٤٩٩ ترجمة: ٣٢٨٩).

كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»[1].

وفي لفظ الطَّحاويّ قال أبو عَبْد الرَّحْمَن السُّلَميّ: «كَانَ أَصْحَابُنَا يُقْرِئُونَا وَيُعَلِّمُونَا وَيُخْبِرُونَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقْرِئُ أَحَدَهُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا يَجُوزُهَا حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْعَمَلَ فِيهَا، قَالَ: وَقَالُوا: عَلِمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»[2].

الخطوة الثانية : يأخذون خمسًا في الصباح وخمسًا في المساء:

يبدو أن الصحابة -رضوان الله عليهم- ما كانوا يأخذون حتى الآيات العشر مرة واحدة، بل كانوا يقسمونها قسمين، ويأخذونها في فترتين، خمسًا بالصباح، وخمسًا بالمساء، وقد أخرج ابن عساكر من طريق أبي نضرة العبدي قال: «كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلّمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات»[3]. وأخرج البيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: «تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسًا خمسًا»[4].

---

(١) رواه ابن سعد نحوه في (الطبقات، ١٧٢/٦). وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦٠/١٠-٤٦١). وأحمد (٤١٠/٥). والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨٤/٤). وإسناد الأثر حسن من أجل عطاء بن السائب. قال الهيثمي في (المجمع،١٦٥/١): «وفيه عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره». ولكن روى نحوه الطبري في مقدمة تفسيره بإسناد متصل صحيح عن أبي عبد الرحمن (٢٨/١).

(٢) شرح مشكل الآثار (٨٤/٤). وانظر الحاشية السابقة.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩١/٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٥). والإتقان (٤٨/١). وفي إسناده: الصلت بن دينار الأزدي، وهو متروك كما قال الحافظ في التقريب (رقمه: ٢٩٦٣). وقال عنه الذهبي: «لين» وانظر: ميزان الاعتدال (٣١٨/٢). وتهذيب التهذيب (٤٣٤/٤).

(٤) رواه الخطيب في التاريخ (٢٨٧/١٣). وأبو نعيم مختصرًا في الحلية (٩ /٣١٩). والبيهقي في الشعب (٥١٢/٤-٥١٣، رقمه: ١٨٠٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٥) .وفي الإتقان (١٥٦/١). أعل الأثر البيهقي (٤١٣/٤) بالمخالفة في الإسناد، إذ خالف علي بن بكار وكيعًا في رفعه إلى عمر رضي الله عنه، ورواية وكيع (يعني الموقوفة) أصح. هكذا قال. وأما سند الأثر فحسن، ورجاله ما بين ثقة وصدوق.

قال السيوطي [1]: إن معناه -إن صح- إلقاء جبريل إلى النبي ﷺ بهذا القدر حتى يحفظه، ثم يلقي إليه الباقي، لا إنزاله بهذا القدر خاصة. ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: «تعلموا القرآن خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا» [2].

وفي لفظ: قال أبو خلدة: سمعت أبا العالية يقول: «تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنه أحفظ عليكم، وجبريل كان ينزل به خمس آيات، خمس آيات» [3].

والتابعون بإحسان مشوا على خطى الصحابة في هذا المنهج القويم، كما في أثر أبي العالية السابق، وهذا أبو عبد الرحمن السلمي راوي الأثر السابق يقول: «وإذا كنا نتعلم العشر من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها، وأمرها ونهيها» [4].

وقال علي بن بكار: قال بعض أهل العلم: «من تعلَّم خمسًا خمسًا لم ينسه» [5]. ولو دققنا في النصوص الواردة في استظهار الصحابة للقرآن لوجدنا أنهم أخذوا الحفظ وسيلة ومفتاحًا للفهم، وعاملاً مساعدًا للتدبر والعمل، فلم يكن الحفظ يومًا عندهم هي الغاية لوحده، وإنما كان وسيلة لتحقيق غاية كبرى، وهي التدبر والفهم والعمل، وَلِهَذَا كَانُوا يَبْقَوْنَ مُدَّةً في حِفْظِ سورَة واحدة [6].

فقد روى البيهقي عن إسحق بن عيسى قال: سمعتُ مالكًا يوم عاب العجلة

---

(١) الإتقان (١/١٥٦) بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٤٦١). وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١٩)، والبيهقي في الشعب (٤/٥١٢، رقم الأثر: ١٨٠٦). وذكره الزركشي في البرهان (١/٤٥٦).

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/٢١١)، وانظر: الحاشية السابقة.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٨٠) برقم (٦٠٢٧)، وذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/٣٩) .

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤/٥١٣).

(٦) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٣١).

في الأمور ثم قال: «قرأ ابن عمر البقرة في ثماني سنين»[1].

وفي موطأ مالك أنه بلغه: «أن ابن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها»[2]. وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورًا»[3].

وقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا -يَعْنِي: عَظُمَ-[4]»[5].

وهذا يدل على أن قراءتهم لم تكن مجرد حفظ؛ لأن القراءة تعني عند الصحابة ثلاثة أشياء: الاستظهار، والتعلم، والتطبيق، وما من شك أن من قرأ البقرة وآل عمران بهذه الصورة يدخل في عداد العلماء العاملين، ولذا كان القراء هم العلماء في عهد الصحابة وعُرفهم. وقد جاء عن عَبْد الله بْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صححه الحافظ ابن حجر[6] موقوفًا أنه قَالَ لإِنْسَان: «إِنَّكَ فِي زَمَانٍ قليل قُرَّاؤُهُ، كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَيُضَيَّعُ فِيهِ حُرُوفُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ، كَثِيرٌ مَنْ

(١) رواه البيهقي في (الشعب، ٥١١/٤، ح: ١٨٠٣). بسنده إلى مالك، ورجاله ثقات.

(٢) الأثر في موطأ مالك بلاغًا، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن (٢٠٥/١). وهذا البلاغ عن ابن عمر وصله ابن سعد في الطبقات (١٦٤/٤) بإسناد حسن عن عبد الله بن جعفر الرقي، عن أبي المليح، عن ميمون، ولفظه: أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين. وعن طريقة البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٥/٣).

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٦/٤٤). والبيهقي في (الشعب، ٥١١/٤، ح: ١٨٠٥). وإسناده ضعيف؛ لأن فيه أبا بلال الأشعري، ضعفه الدار قطني.

وانظر: المغني في الضعفاء للذهبي (٧٧٥/٢ رقمه: ٧٣٥٧). وذكر الأثر ابن الجوزي في مناقب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص: ١٩١). والذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين، ص:٢٦٧). والقرطبي في مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١). والسيوطي في الدر المنثور (٥٤/١) وكلاهما عزواه إلى الخطيب البغدادي في كتابه (أسماء من روى عن مالك).

(٤) (جَدَّ فِينَا): أي عَظُمَ قدره فينا وصار ذا جد . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٤/١) .

(٥) رواه أحمد في المسند (١٩ / ٢٤٧ ، ح : ١٢٢١٥). والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٣٠٥ ، ح : ٣٧٢٥). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٦) انظر فتح الباري (٥١٠/١٠). وسلسة الأحاديث الصحيحة (٧ /٥٧٦).

يُعْطِي، يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ فِيهِ، وَيَقْصِرُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، يُبْدُونَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ، وَيُضَيَّعُ حُدُودُهُ، كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطِي، يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيَقْصِرُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ، يُبْدُونَ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ»[1].

قال الباجي في شرح الأثر: «قوله: (إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه) لم يرد بذلك عبد الله بن مسعود أن من يقرأ القرآن كان قليلاً في زمانه، وإنما أراد أن من يقرأ القرآن فيكون حظه منه قراءته دون الفقه فيه قليل؛ لأن عبد الله بن مسعود إنما قصد إلى مدح الزمان الذي كان فيه، وهو عصر الصحابة رضي الله عنهم، والثناء عليهم بكثرة الفقهاء والعلماء، وجُلّ فقه أهل ذلك العصر إنما كان من القرآن والاستنباط منه، ولم يكونوا أهل كتاب ولا دواوين، ولا ضمنوا القراطيس العلم، وإنما كان علمهم في صدورهم، واستنباطهم من محفوظهم» – إلى أن قال:– «وإنما ثبت بما ذكرناه أن تلاوة القرآن وحفظه من أفضل المناقب وأرفع المراتب، وأنه مما لا يجوز أن يعاب به أحد، فيجب أن يحمل قوله على ما يليق به من العلم وحسن الظن، فيجعل مدحه لزمان الصحابة بكثرة الفقهاء وقلة القراء على أنه أراد به أن ممن يقرأ القرآن فيه ولا يفقهه قليلاً، وأن الفقهاء فيه من قراء القرآن المستنبطين الأحكام منه كثير، وهذا هو المعلوم من حال الصحابة رضوان الله عليهم وحشرنا معهم»[2].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/١٧٣). وهو معضل. ورواه البخاري في الأدب المفرد، وزهير بن الحرب في «العلم». والبيهقي في شعب الإيمان(٧/٦٢)، قال ابن عبدالبر في الاستذكار(٢/٦٣): «هذا الحديث قد روي عن ابن مسعود من وجوه متصلة حسان متواترة» وصحح الألباني سند زهير، وقال في سند البخاري: «وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات غير الحارث بن حصيرة، وثقه الجمهور، وضعفه ابن عقيل وابن عدي» انظر: الصحيحة (٧/٥٧٥، وتحت حديث رقمه: ٣١٨٩).

(٢) المنتقى شرح الموطأ (١/٣٠٨).

الخطوة الثالثة: أن الصحابة أخذوا من النبي ﷺ القرآن وتفسيره معًا:

يبدو أن السبب في تقليل الحفظ هو أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يتعلمون من النبي ﷺ التفسير مع التلاوة معًا في وقت واحد، وأن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، كما تقدم في أثر أبي عبد الرحمن السلمي في الخطوة الأولى، وقد أكد القرآن هذا المعنى فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

الخطوة الرابعة: كانوا يجتهدون في أثناء التلاوة بالعمل وتطبيق الآيات التي تُقرأ، كما كان ﷺ إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعّوذ تعّوذ:

يقول ابن عمر -رضي الله عنهما-: "كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورُزِقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يُرزقون العمل به"(١).

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به"(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٧٥).

(٢) المرجع السابق (١/٧٥ - ٧٦).

ويقول ابن عمر -رضي الله عنهما-: "لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلاَلَهَا، وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا، وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ، وَلاَ زَاجِرُهُ، وَلاَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ"(١).

وقال الحسن البصري: "إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر من قبل أوله، وقال الله-سبحانه-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص:٢٩]، وما تدبُّر آياته إلا اتباعه بعلمه، أما -والله- ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفًا، وقد -والله!- أسقطه كله، ما يُرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَسٍ! والله ما هؤلاء بالقراء! ولا العلماء! ولا الحكماء! ولا الوَرَعة! متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثّر الله في الناس مثل هؤلاء"(٢).

وقد كان ﷺ أحسن الناس قراءة، وأفضلهم ترتيلاً، وأكثرهم خشوعًا وتأثرًا عند القراءة، كيف لا وهو القائل -كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما-: ((أحسنُ الناسِ قراءةً الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله)) (٣).

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل (ص: ١٧٩). والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٤/٤). والبيهقي في (الكبرى، ١٢٠/٣). والطبراني في الأوسط (١٦٥/١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/١) : " رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح".

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٧٤، رقمه: ٧٩٣). وعبد الرزاق في مصنفه (٣٦٣/٣-٣٦٤، رقمه: ٥٩٨٤). ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل (ص: ١٧٥). والآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٩/١). وذكره الباقلاني في الانتصار للقرآن (٤٨/١). وأبو شامة في المرشد الوجيز (٢٠٥/١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان(٥٨/٢). وفي الحلية (١٩/٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (ح: ١٥٨٣). وفي صحيح الجامع (ح: ١٩٤).

ولو سألت: كيف ؟!

أقول لك: إذًا فلنأخذ مشهدًا من مشاهد قراءة سيد المرسلين، وكيف كان حاله في أثناء قراءته؟ وكيف كان تأمله وتدبره، وخشوعه، وتأثره، روى مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ..)) (١).

هكذا كان ﷺ يستغرق بقراءة القرآن، ويتلذذ بتدبره إلى درجة نسيان المكابدة، فقد كان ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه(٢). وعَنْ عبد الله بن الشخير قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنْ الْبُكَاءِ"(٣).

الخطوة الخامسة : ختمهم للقرآن بين فقهه ومجرد تلاوة لفظه :

مدة ختم القرآن تختلف باختلاف الأشخاص، وقدراتهم، وأوقات فراغهم، ومقدار حفظهم، وتمكنهم منه، ولكن ينبغي للقارئ أن يكون له ورد يومي يحافظ عليه، ويلتزم به، وأن يقرأه بترسل وتدبر وتأمل، وألا يهذّه هذّ الشعر، وينثره نثر الدقل، فعن مكحول -رحمه الله- قال:"كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (ح: ٧٧٢) .

(٢) ففي الصحيحين عن الْمُغِيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)).

(٣) رواه أحمد (٢٦/٢٣٨، ح: ١٦٣١٢). وأبو داود في الصلاة، باب البكاء في الصلاة (ح: ٩٠٤). والنسائي في الصلاة، باب البكاء في الصلاة (ح:١٢١٥). وابن حبان (ح: ٧٥٣). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح: ٧٩٩). الأزيز: صوت غليان المرجل، والمراد به : ما كان يعرض له في الصلاة من الخوف الذي يوجب ذلك الصوت .

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٤٥).

يقرءون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك"(١).

وكره العلماء أن يختم في أقل من ثلاث؛ ولذا لما راجع عبدُ الله بن عمرو ابن العاص النبيَّ ﷺ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال:((لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلّ مِنْ ثَلَاثٍ)) (٢). وفي هذا دلالة واضحة على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

قال ابن القيم:"والمقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه، تصديقًا بخبره، وائتمارًا بأمره، وانتهاءً بنهيه، وائتمامًا به، حيثما قادك انقدت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة؛ فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقًا "(٣).

وعن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص -رضي الله عنهما- قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلّ لَيْلَة، قَالَ: فَإِمّا ذُكِرْتُ لِلنّبِيّ ﷺ، وَإِمّا أَرْسَلَ إِلَيّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: ((أَلَمْ أُخْبَرْ أَنّكَ تَصُومُ الدّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلّ لَيْلَة؟)) فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيّ اللهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلّا الْخَيْرَ، قَالَ: فَإِنّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيّام -إلى أن قَالَ-: ((وَاقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلّ شَهْرٍ)) قَالَ: قُلْتُ:يَا نَبِيّ اللهِ إِنّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلّ عِشْرِينَ)) قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيّ اللهِ إِنّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلّ عَشْرٍ)) قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيّ اللهِ إِنِي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٣٦٢/١). وعزاه إلى ابن أبي داود.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة، باب في كم يقرأ القرآن (ح: ١٣٩٠). والترمذي في القراءات، باب في كم أقرأ القرآن (ح: ٢٩٤٩). وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح: ١٣٤٧). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦١/١).

(٣) مفتاح دار السعادة (٤٢/١).

قَالَ: ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًا)) (١).

وعند الحديث عن فقه القرآن وفهمه عند القراءة يسأل الكثير عن كيفية تدبر القرآن، ومعناه، وما المقصود منه، وهذا هو المطلب الخامس في هذا الكتاب .

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (ح: ٥٠٥١). ومسلم -واللفظ له- في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حقًا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم (ح: ١١٥٩).

المطلب الخامس

التدبر؛ بمعناه، وأهميته، وأنواعه، ومحله وأدواته، ودوره في فهم الآيه

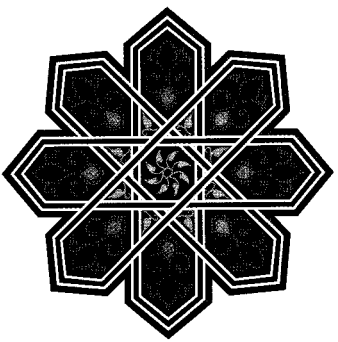

المطلب الخامس

التدبر؛ معناه، وأهميته، وأنواعه، ومحله وأدواته، ودوره في فهم الآيه

أولاً : ما المقصود بالتدبر؟

يقال: دبّرْت الأمر تدبيرًا: فعلته عن فكرٍ ورويّة، وتدبرته تدبّرًا: نظرت في دبره؛ وهو عاقبته وآخره [١]. والتدبيرُ في الأمر: النظر إلى ما تئول إليه عاقبته، والتّدَبُّرُ : التفكر فيه [٢]. وقد جاءَ على صيغةِ التّفعُلِ؛ ليدلّ على تكلّفِ الفعلِ، وحصولِه بعد جُهْدٍ.

واصطلاحًا: قال الجرجاني: "التدبر : عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"[٣].

وأما تدبر القرآن عند المفسرين فهو:" التفكّرُ الشاملُ الواصلُ إلى أواخرِ دلالات الكلم ومراميه البعيدة"[٤].

---

(١) انظر: مصباح المنير للفيومي (١/١٨٨- ١٨٩).

(٢) مختار الصحاح للرازي (١/٢١٨).

(٣) التعريفات (ص: ٥٤).

(٤) قواعد التدبر الأمثل لعبد الرحمن حبنكة (ص: ١٠).

ثانيًا: أهمية التدبر وأثره :

تدبّر القرآن وتأمله، وفهم معانيه وتطبيق حدوده وأحكامه، هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من تلاوة القرآن، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :"مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً إِلّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَمَاذَا عُنِيَ بِهَا"(١).

وقد جاء في أكثر من آية أن المقصد من إنزال القرآن هو التدبر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٤]. وغيرها من الآيات.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/١٤٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَالْعَقْلُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، فَمَنْ عَرَفَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَلَمْ يَتَّبِعْ الْخَيْرَ وَيَحْذَرْ الشَّرَّ لَمْ يَكُنْ عَاقِلاً"(١).

وقال ابن القيم: "وأعلى الفِكَر وأجلُّها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع: الأول الفكرة في آياته المنزلة، وتعقلها وفهمها، وفهم مراده منها، ولذلك أنزلها الله -تعالى- لا لمجرد تلاوتها، بل التلاوة وسيلة، قال بعض السلف: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً!!"(٢).

ومن المعلوم أن التدبر لا يمكن تحقيقه إلا بعد الفهم، والأخذ بنصيب من علوم الآلة كعلم اللغة والنحو والبلاغة والبيان وغير ذلك من العلوم المساعدة دون الإيغال إلى حد الإغراق فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وتدبر الكلام إنما يُنتفع به إذا فُهم"(٣) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠٨).

(٢) الجواب الكافي (ص: ١٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٤٤).

ثالثًا: لنحذر من مجرد هذّ القرآن ونثره :

ينبغي عند قراءة القرآن ألا يكون همّ القارئ متى أختم السورة والقرآن، بل يجعل همّه تدبرَ الآيات والاتعاظ بها، ومن ثم تطبيقها في حياته اليومية، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ"(١).

ويقول ابن عمر -رضي الله عنهما-: "لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا، وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا، وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ، وَلاَ زَاجِرُهُ، وَلاَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ"(٢).

وعن محمد بن كعب القرظي قال: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ (إذا زلزلت) و(القارعة) لا أزيد عليهما أحب إليّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًا، أو قال: أنثره نثرًا"(٣).

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل (ص: ١٣٢). والبغوي في تفسيره (٨/٢٥١). وأخرجه العسكري في "المواعظ" موقوفًا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٨) وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن الضريس في فضائل القرآن، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) تقدم تخريجه في (ص: ٥٧).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (ص: ٩٧، رقمه: ٢٨٧)، ومن طريقه أبو نعيم في (الحلية، ٣/٢١٤). ومحمد بن نصر في قيام الليل (ص: ٦٠). وذكره ابن الجزري في النشر في القراءات العشر (١/٢٣٥).

رابعًا : أنواع التدبر :

من إعجاز القرآن أنه كتاب هداية وإرشاد للبشرية جمعاء، ليس للمتخصصين فحسب، بل كل من يتلوه بتدبر وعناية يجد فيه ضالته ومبتغاه إذا كان يعرف اللغة التي نزل بها القرآن، ولا يحول بينه وبين تدبره المراحل العمرية ولا التخصص العلمي، والمستوى العقلي، بدءًا من الطفل الصغير والعامي الذي لا يحسن الكتابة ولا القراءة وانتهاءً إلى الفيلسوف والعالم الكبير المتخصص في القرآن وعلومه، كل يغرف من بحره، ويرشف من معينه الذي لا ينضب حسب ثقافته وقدراته وظرفيته واستيعابه، وحسب تدبره الذي يحدد مستواه: مدى تمكنه ورسوخه في علوم الآلة، وأدوات الفهم، وحسب صفاء قلبه، وطهارة سريرته وتقواه .

والخلاصة: لا أحد يخرج منه خالي الوفاض شريطة أن يتدبر. ومن هنا كان التدبر درجات وأنواعًا، ونذكر ثلاثة أنواع منه :

أ- تدبر العامة :

هذا التدبر بمقدور الجميع، ولا يعذر أحد بالجهل به ، وهو التدبر المتعلق بالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها، سواء المتخصص وغير المتخصص ممن يفهم اللغة التي نزل بها القرآن، وهو الوجه الأول والثاني من تقسيم ابن عباس للتفسير حيث قال:"التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

- وَجْه تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا.
- وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ.

وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ.

- وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ"(١).

(١) أخرجه الطبري في مقدمة جامع البيان (١ / ٧٠). وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٥٠). وتفسير ابن كثير(١/ ١٤). والإتقان في علوم القرآن (٤ / ٢١٦).

ب- تدبر طلاب العلم:

تدبر الخواص متعلق بالقسم الثالث مما جاء في تقسيم ابن عباس للتفسير، وهو المتشابه الإضافي أو النسبي الذي يعلمه الراسخون في العلم؛ لأن فهمه بحاجة إلى مراعاة دليل آخر، فإذا تقصى المتدبر أدلة الشريعة وجد فيه ما يبينه، وهذا لا يكون إلا لطلاب العلم، وحسب مبلغهم فيه وارتقائهم لسلّم العلم ودرجاته، ففرق بين من هو ما زال في بدايات الرسوخ وطلب العلم، وبين من أمضى أكثر عمره أو جُلّ وقته في التدبر، وشاب رأسه فيه.

ج- تدبر الخواص والراسخين:

وهذا القسم خاص بمن بلغوا القمة في الرسوخ في العلم، وفُضِّلوا بصفاء القلب ونقاء الفكر، وحِدَّة الذهن ودقة الملاحظة، وهو الضرب المشار إليه في دعوة الرسول ﷺ لابن عباس -رضي الله عنهما-: ((اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ))(١). أي: تأويل القرآن .

ومن أمثلة هذا القسم: ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ:" كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟! فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ : وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ﴾[النصر: ١-٢]حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا.

فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟

قُلْتُ: لاَ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ﴾ [النصر:١] فَتْحُ مَكَّةَ ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:٣]. قَالَ عُمَرُ :" مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ" (٢).

وكان ابن عباس -رضي الله عنهما- قد نال هذه الدرجة ببركة دعاء النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه بزيادة (وعلمه التأويل) أحمد (٤/ ٢٢٥). والطبراني في الكبير (ح: ١٠٥٨٧). والفسوي في تاريخه (١/ ٤٩٤). وابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٦٥). والحاكم (٥٣٤/٣). وصححه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٦): "رواه أحمد، والطبراني بأسانيد، وله عند البزار، والطبراني: "اللهم علمه تأويل القرآن" ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح". وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ١٧٣). والشطر الأول من الحديث: (اللهم فقهه في الدين) أخرجه البخاري (ح:١٤٣)، ومسلم (ح:٢٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب (٥٢) (ح: ٤٢٩٣).

وكان يسمى بحرًا وترجمان القرآن. وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: " ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس"(١).

خامسًا : محل التدبر :

قد بيَّنَ القرآن أن محل التدبر: القلب، وبه يحصل التدبر، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:٢٤]. قال ابن القيم: "وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"(٢).

وأما كيف يتمكن القارئ من تدبر الآيات والسور فأقول: لا يحصل التدبر بمجرد الحفظ والتكرار والترداد دون حضور قلب، فلو كان التدبر يحصل بكثرة الترداد دون حضور قلب لكان المسلمون كلهم مطلعين على معاني كلمات قصار السور وشيء من مقاصدها، حيث إنهم يحفظونها ويرددونها يوميًّا في صلواتهم، ورغم هذا لو سألت كم عدد الذين يعرفون معاني كلمات سورة الفلق ذات الآيات الخمس، (الفلق، وقب، غاسق، النفاثات في العقد) ومراد السورة عمومًا، ومع الأسف القليل هم الذين يعرفون معانيها، وأما الكثرة الكاثرة فلا يعرفون معاني كلمات هذه السورة مما أفقد أثرها في حياة البعض من الناس. ولذا لا يمكن التدبر إلا بعد فهم السورة فهمًا عامًّا.

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٧). وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. وانظر: سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٤٧).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٥١).

سادسًا : أدوات معينة للتدبر:

أفضل وسيلة للتدبر: القراءة بالترتيل والتأني والترسل؛ بحيث يتمكن من فهم ما يقرأه، فيعرف معنى كل آية ومقصودها على حسب طاقته وعلمه، ويتأمل الأوامر والنواهي، وما يقرأ من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود ثم يفكر في تقصيره فيها، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو مرّ بآية عذاب ووعيد خاف وأشفق وتعوّذ، أو تنزيه نزّه وعظّم، أو دعاء تضرّع وطلب، وهكذا خشية وتأثر وتطبيق عملي فوري .

ومما يعين على التدبر :

١ - مراعاة آداب التلاوة؛ من طهارة ومكان وزمان، وإخلاص واستعاذة وبسملة.

٢ - محاولة تفريغ النفس من شواغلها، وحصر الفكر مع القرآن، والخشوع والتأثر والشعور بأن القرآن يخاطبه هو.

٣ - التلاوة بتأنٍ وتدبر وانفعال وخشوع، وألا يكون همه نهاية السورة، بل الوقوف أمام الآية التي يقرؤها وقفة متأنية فاحصة مكررة، ومن ثم العودة المتجددة للآيات، وعدم الاقتصار على التدبر مرة واحدة؛ فالمعاني تتجدد.

٤ - النظرة التفصيلية في سياق الآية: تركيبها، معناها، نزولها، غريبها، دلالاتها.

٥ - ملاحظة البعد الواقعي للآية؛ بحيث يجعل من الآية منطلقًا لعلاج حياته وواقعه، وميزانًا لمن حوله وما يحيط به.

٦ - يُنصح بالقراءة في الطبعات التي فيها الهوامش والحواشي لمختصرات بعض التفاسير، أو بعض كتب أسباب النزول، أو بيان الغريب من الكلمات والمفردات.. فإن لذلك أثرًا في النظر المباشر في أثناء التلاوة بتدبر وتأمل.

٧ – الثقة المطلقة بالنص القرآني، وإخضاع الواقع المخالف له، مع الاستعانة بالمعارف والثقافات الحديثة لفهم أوسع .

٨ – القراءة في الكتب المتخصصة في أصول التفسير وقواعده مثل: كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للسعدي، وكتاب (مفاتيح للتعامل مع القرآن) للخالدي، وكتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل)، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وكتاب (دراسات قرآنية)، لمحمد قطب..وغيرها من الكتب المفيدة .

سابعًا : التدبر أس طلب العلم ومفتاحه :

وصيتي لنفسي ولكل طالب علم –خاصة المبتدئ– أن يجعل منطلقه القرآن، فمن كان أكثر تدبرًا للقرآن فهو أرسخ علمًا، وأعمق فقهًا، فبمقدار التدبر يكون الفهم للتفسير، وبقدر تدبرك وإخلاصك تتوسع مداركك، وتفتح آفاق المعرفة أمامك، ومصداق ذلك أن الصحابة والتابعين هم أكثر الأمة فقهًا وعلمًا، لأنهم أكثرهم تدبرًا وتأملاً للقرآن، وفهمًا وعلمًا فيه وبتفسير آياته، فهم جيل قرآني بامتياز، يقول مُجَاهِدٌ :"عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبّاس –رضي الله عنهما– مِنْ فَاتِحَتِه إِلَى خَاتِمَتِه، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا"(١).

وهكذا كلما تدبرت الآيات بعمق ودقة زاد فهمك، وتوسع أفق معرفتك، وكانت حصيلتك على قدر عمق تدبرك، ولذا كان رسول الله ﷺ أعلى الناس وأعمقهم وأوسعهم وأكثرهم فهمًا للقرآن على الإطلاق، ومن هنا قال الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ ما قال في حقه ﷺ :" كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنْ الْقُرْآنِ"(٢).

وقد تتدبر آية تعرف معناها من سنين طويلة، وأنها من الآيات الواضحات لديك، ولا تحتاج إلى مزيد تأمل وتدبر، ولكن عندما تقف عندها مرة أخرى وتعطيها حقها من التأمل وإذا بك تفاجأ بسيل من الأسرار والفتوحات الجديدة! والفوائد الغزيرة! وربما يُفتح عليك باب المعاني بمصراعيه، وتستخرج فوائدَ وحِكَمًا وأحكامًا وآدابًا لم تكن في الحسبان أصلاً، وحتى لا يكون كلامنا مجرد تنظير، فلنأخذ مثالاً في هذا الباب، وهو ما ذكره أحد العلماء الذين لهم باع

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٨/٥).

(٢) المرجع السابق (٣٦٣/١٣).

في التدبر، ألا وهو شيخ الإسلام ابن القيم حيث ذكر في كتابه (زاد المهاجر) في تفسير قصة إبراهيم -عليه السلام- في سورة الذّاريات، قال: "فصل في: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء:٨٢؛ محمد:٢٤]. فإن قلتَ: إنّك قد أشرْتَ إلى مقامٍ عظيمٍ، فافتحْ لي بابَه، واكشفْ لي حجابَه، وكيف تَدَبُّرُ القرآنِ وتَفَهُّمُهُ والإشرافُ على عجائبه وكنوزه؟! وهذه تفاسيرُ الأئمّةِ بأيدينا، فهل في البيانِ غيرُ ما ذكروه؟!

قلتُ: سأضرب لك أمثالاً تَحْتَذي عليها، وتجعلها إمَامًا لك في هذا المقصد. قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِه فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات:٢٤- ٣٠]. فعهدي بكَ إذا قرأتَ هذه الآية، وتطلّعتَ إلى معناها، وتدبّرتها، فإنّما تَطْلُعُ منها على أنّ الملائكةَ أتَوا إبراهيمَ في صورةِ الأضيافِ يأكلونَ ويشربون، وبشّرُوه بغلامٍ عليم، وإنّما امرأتُه عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك، ولم يتجاوزْ تَدَبُّرُكَ غير ذلك. فاسمعِ الآنَ بعضَ ما في هذه الآيات من أنواعِ الأسرارِ، وكم قد تضمّنت من الثّنَاءِ على إبراهيم؟ وكيف جمعت الضّيافةَ وحقوقَها؟ وما تضمّنتْ منَ الرّدّ على أهلِ الباطلِ من الفلاسفةِ والمعطّلة. وكيف تضمّنتْ عَلَمًا عظيمًا من أعلامِ النبوّة؟ وكيف تضمّنتْ جميعَ صفاتِ الكمالِ التي رَدّهَا إلى العلمِ والحكمة؟ وكيف أشارت إلى دليلِ إمكانِ المعادِ بألطفِ إشارةٍ وأوضحِها، ثُمّ أفصحتْ وقوعَه؟ وكيف تضمّنتْ الإخبارَ عن عدلِ الرّبّ وانتقامِه من الأممِ المكذّبة، وتضمّنتْ ذِكْرَ الإسلامِ والإيمانِ والفرقِ بينهما، وتضمنتْ بقاءَ آياتِ الرّبّ الدّالّةِ على توحيدِه وصدقِ رُسُلِه وعلى اليومِ الآخرِ، وتضمّنتْ أنّه

لا ينتفعُ بهذا كله إلاّ من في قلبِه خوفٌ من عذابِ الآخرةِ، وهم المؤمنون بها، وأمّا من لا يخافُ الآخرة ولا يؤمنُ بها، فلا ينتفعُ بتلك الآياتِ، فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملةِ...»[1]. ثم أبحر فغاص فأخرج اللؤلؤ والمرجان وعجائب تدهش!!

(١) زاد المهاجر إلى ربّه، لابن القيّم (ص: ٦٣- ٦٨).

الخاتـــــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، إليك -أخي القارئ- في الخاتمة أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، فأما النتائج فهي:

١ - لعلك في نهاية هذا البحث المختصر تدرك الخلل في واقعنا المعاصر في كيفية قراءة القرآن وحفظه، وأن المنهج النبوي وما سار عليه السلف الصالح هو الدواء الناجع والجانب العملي التطبيقي الذي نفتش عنه اليـوم.

٢ - أن الوحدة الموضوعية للسور تعني: ما تتضمن كل سورة من محور خاص أو أكثر تدور السورة في فلكه، وتهدف إلى بيانه، وتسعى إلى تحقيقه؛ من خلال ما تضمنته السورة من موضوعات، وإن بدا أن بينها شيئًا من التباين في بادئ الأمر.

٣ - أن إظهار المحور الخاص يحتاج إلى دربة ونظر وتدبر وإعمال العقل، وطول ممارسة ومعايشة مع السورة.

٤ - أن تحديد المحور الخاص للسورة ليس بالضرورة أن يكون موضوع اتفاق بين الدارسين؛ لأن الأمر في الأساس مبني على النظر والاجتهاد، وأمر كهذا من الصعوبة بمكان أن تتفق عليه آراء العلماء والباحثين.

٥ - تبينت بعد طول تدبر وتأمل أن لسورة البقرة مقصدًا ومحورًا خاصًّا تدور حوله الآيات كلها بسورة عجيبة، والمقاصد الخمس الأخرى التي تحتويها السورة كلها تصب في خانة هذا المحور، وتجليه وتبينه، وتتفرع عنه، وهذا المحور الخاصّ لسورة البقرة هو: موضوع (العبادة).

٦ - أن للوقوف على الوحدة الموضوعية للسور -ومن ثَمَّ عمل خارطة ذهنية تربط مقاصد السورة بمحورها- دورًا عظيمًا في الفهم العام أولاً، ثم في ترسيخ الحفظ وتثبيته ثانيًا.

٧- أن للتطبيق والعمل بالآيات التي نحفظها دورًا محوريًّا في تعميق الحفظ، لأن العلم يهتفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ!

٨ - يظهر لي أن منهج الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين- في تعلم القرآن وتعليمه هو: أنهم يستمعون من النبي ﷺ أولاً، ثم يفهمون المعاني، ثم يعملون، ويحفظون عشر آيات في اليوم: خمسًا في الصباح، وخمسًا في المساء.

ومن هنا قال الإمام فضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-"أول العلم: الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر"(١).

٩- أن الصحابة والسلف أخذوا الحفظ وسيلة ومفتاحًا للفهم والتدبر والعمل، فلم يكن الحفظ يومًا عندهم هي الغاية لوحده، وإنما كان وسيلة لتحقيق غاية كبرى، وهي التدبر والفهم والعمل.

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٧٨/١). وصحح محقق الكتاب سنده إلى فضيل بن عياض. ونحو هذا القول -وبفارق يسير- مروي بسند صحيح عن سفيان بن عيينة، ومحمد بن النضر الحارثي. انظر: المرجع السابق (٤٧٦/١-٤٧٧).

وأما التوصيات فهي :

١ - ينبغي للقارئ أن يكون له ورد يومي يحافظ عليه، ويلتزم به.

٢ - ينبغي أن نقرأ القرآن بترسل وتدبر وتأمل، وألا نهذّه هذّ الشعر، وننثره نثر الدقل. وألا يكون همُّنا متى أختم السورة والقرآن، بل نجعل همّنا تدبر الآيات والاتعاظ بها، ومن ثم تطبيقها في حياتنا اليومية.

٣- علينا أن نستثمر العلوم المستجدة، والتقنية الإلكترونية الحديثة في إعانة الطلاب والأبناء في فهم القرآن وحفظه وتعلمه، فعلم الخرائط العقلية والذهنية فنٌ مهمٌ، علينا استثماره في هذا الباب، فتدبُرُ القرآن وتأمله، وفهم معانيه وتطبيق حدوده وأحكامه، هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من تلاوتنا للقرآن.

٤ - أوصي نفسي وإخواني بقراءة القرآن بالترتيل والتأني والترسل؛ بحيث نتمكن من فهم ما نقرأه، فنعرف معنى كل آية ومقصودها على حسب طاقتنا وعلمنا.

٥ - التدبر أس طلب العلم ومفتاحه، ولذا أوصي نفسي وإخواني طلاب العلم أن يجعلوا منطلقهم في مسيرتهم العلمية: القرآن، فمن كان أكثر تدبرًا للقرآن فهو أرسخ علمًا وأعمق فقهًا، فبمقدار التدبر يكون الفهم للتفسير، وبقدر التدبر والإخلاص تتوسع المدارك، وتفتح آفاق المعرفة، وهكذا كلما تدبرنا الآيات بعمق ودقة زاد فهمنا، وتوسع أفق معرفتنا، وكانت حصيلتنا على قدر تدبرنا.

وأخيرًا: ما سطرته هنا اجتهاد مني، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وفضله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه وأتوب إليه، ولا تحرمني -أيها المبارك- من توجيهك وتسديدك، فالعاقل من أضاف إلى عقله عقول الآخرين. رزقني الله وإياك الإخلاص والصواب! اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

د. إبراهيم بن عبد الله الدويش

العنوان البريدي : القصيم - الرس- ص ، ب : ١٠٣٤

العنوان الإلكتروني: aldwayish3@gmail.com

الفيس بوك: www.facebook.com.abrahaem

الموقع الخاص : (http://www.islamsky.org/).

الفاكس : +٩٦٦ ٦ ٣٣٩١١٦٥

فهرس المصادر والمراجع (١)

١ – الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط:٤، (١٣٩٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر .

٢ – اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (٣٩٢ – ٤٦٣)، تحقيق: ناصر الدين الألباني، ط:٥، (١٤٠٤هـ)، المكتب الإسلامي .

٣ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط:١، (١٤٢٦هـ). دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٤ – الإيمان، لمحمد بن إسحق بن يحيى بن منده (٣١٠ – ٣٩٥)، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي،ط: ٢، (١٤٠٦هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥– البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، دار المعرفة، بيروت.

٦– تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت:٤٦٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت .

٧ – تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، ط:١، (١٤١٩هـ)، دار الفكر بيروت، لبنان .

٨– تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، (٧٠٠– ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة.

٩ – التفسير الموضوعي (التأصيل والتمثيل) لزيد بن عمرو عبد الله العيص، ط:١(١٤٢٦هـ)، مكتبة الرشد، بيروت.

١٠– تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣– ٨٥٢)، تقديم ودراسة: محمد عوامة، ط:١، (١٤٠٦هـ). دار الرشيد، سورية.

---

(١) رُتِّب هذا الفهرس حسب الحروف الهجائية بعد حذف أداة التعريف: (أل) .

١١- تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣ - ٨٥٢)، ط :١، دائرة المعارف النظامية، الهند (١٣٢٥ هـ) .

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٥)، تحقيق: عبد الرحمن معلاّ اللويحق، ط:١، (١٤٢٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، ط:١، (١٣٢٩هـ)، بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق بمصر، وبدار المعرفة، ببيروت .

١٤- الجامع الصحيح للترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٠- ٢٧٩) ط: ٢، (١٤٢١هـ) بدار السلام للنشر والتوزيع، بالرياض.

١٥- الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، ط:١، (١٤٠٧هـ)، بالدار السلفية، بومباي، بالهند.

١٦- الجواب الكافي لمحمد بن أبي بكر (المعروف بابن قيم الجوزية)، (٦٩١-٧٥١)، تحقيق: د. محمد جميل الغازي، طبع دار المدني، بجدة .

١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ). دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٩- الزهد، لعبد الله بن المبارك المروزي (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠ - الزهد، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ط:١، (١٤٠٩هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، طبع دار الكتب العربي، ببيروت .

٢١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط:٤، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي.

٢٢- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ - ٣٠٣)، ط:٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٣- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني، (ت: ٧٤٥هـ)، دار المعرفة ، بيروت .

٢٤- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٤-٢٥٦هـ)، ط:٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٥- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٤-٢٦١هـ)، ط:٢، (١٤٢١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٦- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (ت:٢٣٠ أو ٢٣٥)، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٠هـ) ، بيروت.

٢٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢) دار المعرفة، بيروت، لبنان .

٢٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ط: ٣، (١٤٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١ -٧٢٨)، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، ط: ٢، (١٣٩٩ هـ) .

٣٠- محاضرات في التفسير الموضوعي، لعباس عوض الله، ط: ١، (١٤٢٨هـ)، دار الفكر، دمشق.

٣١- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبع مكتبة لبنان (١٩٩٦م)، بيروت .

٣٢- مختصر قيام الليل لابن نصر المروزي، لأحمد بن علي المقريزي، (ت: ٨٤٥هـ)، طبع حديث أكادمي، فيصل آباد، باكستان .

٣٣- المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: نور الدين عتر.

٣٤- مفتاح دار السعادة، ومنشور أهل العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر (المشهور بابن قيم الجوزية) (٦٩١-٧٥١)، تحقيق: علي الحلبي الأثري، ط:١، (١٤١٦هـ) دار ابن عفان، السعودية- الخبر.

٣٥- المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت:٤٠٥هـ)، وبذيله: التلخيص للذهبي، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٦- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، (ت: ١٦٤-٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين إشراف عبدالله تركي ط: ١، (١٤٢١هـ) مؤسسة الرسالة.

٣٧- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وشرح: أحمد شاكر.

٣٨- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري، (ت: ٨٤٠هـ)، دراسة وتقديم: كمال يوسف الحوت، ط:١، (١٤٠٦هـ)، دار الجنان، بيروت، لبنان.

٣٩- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (٤٠٣ - ٤٩٤)، دار الفكر العربي.

٤٠- المصنف، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الخالق الأفغاني.

٤١- مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط:٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، بتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية .

٤٣- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ط:١، (١٣٨٩هـ). تعليق: محمد عبد الحميد، دائرة المعارف العثمانية، الهند.

٤٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد الجزري (الشهير بابن الأثير)، (٥٤٤- ٦٠٦) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

السيرة الذاتية (C.V)

الاسم	إبراهيم بن عبد الله الدويش
جامعة القصيم	كلية العلوم والآداب بمحافظة الرس
القسم	الدراسات الإسلامية
الدرجة الوظيفية	أستاذ مشارك في السنة النبوية وعلومها
النوع	ذكر
مكان الميلاد	محافظة الرس
الجنسية	سعودي
العنوان الحالي	السعودية - القصيم – الرس – هي الحزم
الحالة الاجتماعية	متزوج
البريد الإلكتروني	aldwayish3@gmail.com
فيس بوك	www.facebook.com/ABRAHAEM
التويتر	www.twitter.com/ibrahim_aldwish
قناة اليوتيوب	www.youtube.com/islamsky1
تليفون العمل	٠٠٩٦٦٦٣٣٣٧١٩١
المحمول	٠٠٩٦٦٥٠٥١٣٦٥١٢
الفاكس	٠٠٩٦٦٦٣٣٩١١٦٥

المؤهلات العلمية					
اسم الجامعة	المدينة	الدولة	اسم المؤهل	مجال التخصص	تاريخ الانتهاء
جامعة الملك سعود	الرياض	السعودية	بكالوريوس	الحديث والتفسير	سنة ١٤٠٦
جامعة الإمام محمد بن سعود	الرياض	السعودية	الماجستير	السنة وعلومها	سنة ١٤١٤
جامعة الإمام محمد بن سعود	الرياض	السعودية	الدكتوراه	السنة وعلومها	سنة ١٤٢١
جامعة القصيم	القصيم	السعودية	أستاذ مشارك	السنة وعلومها	١٤٣١هـ

- كما أخذ العلم الشرعي عن عدد من العلماء في السعودية كابن باز، وابن عثيمين، وابن جبرين، ومن مصر: أحمد معبد، ومن سوريا: عبد الفتاح أبو غدة، ومحمد أديب الصالح،....وآخرين .
- مدرب في الشئون التربوية والأسرية، وعضو مجلس إدارة لعدد من الجمعيات والهيئات والمؤسسات العلمية والخيرية، واللجان الأهلية.
- إمام وخطيب في جامع الملك عبد العزيز في الرس، ويدرس بالجامع عدداً من الكتب والمتون العلمية الأسبوعية .
- شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية، وله مشاركات مكثفة في اللقاءات والمحاضرات العلمية.
- قدم وشارك في الكثير من البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- فاز بجائزة الشباب العالمية للعمل الدعوي عام ١٤٢٤هـ كما نال الكثير من الجوائز والدروع وشهادات التقدير .
- كاتب في عدد من الصحف والمجلات ، وله الكثير من الانتاج الصوتي، والمرئي، الاجتماعي والتربوي والدعوي، وله نحو عشرين مؤلفاً .

الندوات وورش العمل		
١	اسم الندوة	أهمية الجمعيات التعاونية
	الجهة	كلية التقنية بمحافظة الرس
٢	اسم الندوة	الوسطية منهج حياة وحرية
	الجهة	مؤسسة الوقف الإسلامي بهولندا
٣	اسم الندوة	حياة القلوب
	الجهة	دولة الكويت، ضمن فعاليات مهرجان " ليالي فبراير

الأبحاث المنشورة		
١	عنوان البحث	(الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء السنة النبوية)
	المؤلفون	إبراهيم بن عبد الله الدويش
	المجلة	سلسلة دعوة الحق (رابطة العالم الإسلامي)
	تاريخ النشر	المملكة العربية السعودية ١٤٢٨هـ العدد (٢٢١)
٢	عنوان البحث	(العواصم من الفتن قبل وقوعها، في ضوء السنة النبوية)
	المؤلفون	إبراهيم بن عبد الله الدويش
	المجلة	معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى
	تاريخ النشر	المملكة العربية السعودية. ١٤٣٠ هـ
٣	عنوان البحث	(الأسرار في التكرار لأعظم سورة في القرآن من خلال الأحاديث والآثار)
	المؤلفون	إبراهيم بن عبد الله الدويش
	المجلة	حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق بجامعة الأزهر
	تاريخ النشر	جمهورية مصر العربية ، ٢٠٠٨م ـ ٢٠٠٩م العدد (الحادي والعشرون)
٤	عنوان البحث	(أهداف الاستقامة الخلقية في الإسلام في ضوء السنة النبوية)
	المؤلفون	إبراهيم بن عبد الله الدويش.
	المجلة	المجلة العلمية لكلية الشريعة ـ جامعة القصيم
	تاريخ النشر	(١٤٣٠/١١/٢٨هـ)

عضوية الهيئات و المنظمات		
١	اسم الهيئة أو المنظمة	جمعية السنة النبوية
	نوع العضوية	عضو
٢	اسم الهيئة أو المنظمة	الجمعية الفكرية
	نوع العضوية	عضو
٣	اسم الهيئة أو المنظمة	مجلس نظار أوقاف محمد عبد العزيز الراجحي
	نوع العضوية	عضو
٤	اسم الهيئة أو المنظمة	مجلس إدارة تحفيظ القرآن الكريم
	نوع العضوية	عضو
٥	اسم الهيئة أو المنظمة	مجلس أمناء مركز رؤية للدراسات الاجتماعية
	نوع العضوية	رئيس
٦	اسم الهيئة أو المنظمة	مجلس مركز بناء للاستشارات التربوية والتعليمية
	نوع العضوية	رئيس

المشاركة في المؤتمرات		
١	اسم المؤتمر	تلفزيون الواقع والنظرة الإسلامية، لمؤتمر: "الخطاب الإسلامي والإعلام"
	المدينة	عمان
	الدولة	الأردن
	التاريخ	(٤-٥/٧/١٤٢٧هـ)
	عنوان البحث	الخطاب الإسلامي والإعلام
٢	اسم المؤتمر	(دوافع الالتزام الأخلاقي في الإسلام) ضمن أعمال مؤتمر أخلاقنا بين النظرية والسلوك " أسباب ومعالجات " المقام من قبل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
	الدولة	بمملكة البحرين
	التاريخ	٥ ـ ٦ /١١/ ١٤٢٩هـ
	عنوان البحث	دوافع الالتزام الأخلاقي في الإسلام
٣	اسم المؤتمر	ورقة علمية بعنوان (التماسك الأسري في ظل العولمة) ضمن ندوة (الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة) والتي عقدتها مجلة البيان بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
	المدينة	الرياض
	الدولة	السعودية
	التاريخ	١٤٢٩/١١/١٥هـ
	عنوان البحث	التماسك الأسري في ظل العولمة
٤	اسم المؤتمر	إطلاق الشبكة العربية لاستطلاعات الرأي
	المدينة	القاهرة
	الدولة	مصر
	التاريخ	١٤٣٢هـ

من أهم الدورات التدريبية التي حصل عليها		
١	اسم الدورة	مهارات استخدام الصوت في الاتصال الإنساني" ١٤٢٤/٨/٢هـ
٢	اسم الدورة	تدريب المدرب المحترف ١٤٢٤/٨/٣هـ
٣	اسم الدورة	تحليل العلاقات في التحليل السلوكي ١٤٢٤/٨/٥هـ
٤	اسم الدورة	مثلث المهارات وأنماط الشخصية ١٤٢٤/٨/٤هـ
٥	اسم الدورة	منهجية التدريب والتعلم بالخبرة ١٤٢٨/٥/ ٥هـ
٦	اسم الدورة	دورة تصنيف الشخصيات
٧	اسم الدورة	كيفية الإرشاد الأسري الهاتفي ١٤٢٦/٤/١٠هـ
٨	اسم الدورة	استشراف المستقبل
٩	اسم الدورة	إدارة مراكز الفكر والدراسات ١٤٣٢هـ

من أهم الدورات التدريبية التي قدمها		
١	اسم الدورة	الخارطة الذهنية لسورة البقرة
٢	اسم الدورة	الصخور الكبيرة أولاً
٣	اسم الدورة	صناعة الأبناء كقادة
٤	اسم الدورة	كيف نقرأ القرآن
٥	اسم الدورة	سهام الصيد
٦	اسم الدورة	كيفية تقديم المرشدين النفسيين للعلاج الإيماني للمدمنين
٧	اسم الدورة	قيم وأخلاقيات العمل
٨	اسم الدورة	هموم الشباب

من مؤلفاته	
١	حنين المنبر (جزءان)
٢	روائع الأسحار
٣	الأتقياء
٤	الأتقياء
٥	الأخفياء
٦	الفائزون في رمضان
٧	٤٠ وسيلة لاستغلال رمضان
٨	توجيهات وأفكار في تربية الصغار
٩	إجازتي متعتي
١٠	نحو أسرة سعيدة
١١	روحانية صائم (ثلاثون مجلساً رمضانياً)
١٢	الإرشاد الأسري من خلال المقابلة الشخصية